٢٥٢

HARLEQUIN

روايات احلام

غلبها الحب

جيسيكا هارت

www.elromancia.com
مرمورية

غلبها الحب

- اطلبي كل ما تريدين، يا ليزي، وستحصلين عليه.. شرط أن تدبّري لي عروساً خلال شهرين.. وإذا فشلتِ، فسيكون عقابك أن تكوني أنت زوجتي!

عاد المليونير تاي غيبسون إلى ضيعته النائية في الصحراء ليجد لنفسه عروساً.. وعلى عاتق ليزي وقعت مهمة التنفيذ.

راحت تبحث وتبحث بيأس طوال شهرين عن فتاة تناسب رجل الأعمال الغريب الأطوار حتى كادت تفقد الأمل.. وأخيراً وجدت عروساً رضي بها تاي.. ثم اكتشفت بعدها أنها هي نفسها وقعت في حبه!

جيسيكا هارت

تنقلت جيسيكا هارت من عمل إلى آخر قبل أن تشرع بالكتابة والتأليف لتأمين مصاريف إجازة في التاريخ. عملت كنادلة في المقاهي، ومساعدة منتج في المسرح، وطاهية وسكرتيرة تحرير، ومدرّسة لغة إنكليزية، وشاركت في بعثات. سافرت وعملت في دول مختلفة مثل فرنسا وأندونيسيا وأستراليا والكاميرون. وهي تعيش اليوم في شمال انكلترا، وتقتصر هواياتها على الأكل والشرب والسفر متى استطاعت ذلك، إلى أماكن تجد فيها طعاماً لذيذاً أو إلى الصحاري أو إلى بلدان تنهمر فيها الأمطار المدارية.

١ ـ عانقيني

يمكنك تقبيل العروس.

ابتسمت ليزي وهي ترى جاك يضم وجه إيلي بين يديه ويهم بتقبيلها.. كانت قبلة قصيرة حقاً، لكن ليزي أحست أنهما نسيا ما حولهما في تلك اللحظة، ولم يشعرا بأحدٍ غيرهما. حدقت فيهما وهما يمسكان بأيدي بعضهما. تساءلت بشيء من الحزن بدا جلياً على وجهها، ترى، هل ستجد يوماً من يمسك بيدها مثلما يمسك جاك بيد إيلي الآن؟ وفجأة، انتبهت ليزي، وتذكرت أنّ لديها أموراً أكثر أهمية تقلقها.. وعليها التفكير بحلّ لها، وأهمها الحصول على عمل.

فالوقوع في الحب أمر رائع، لكنه لن يدفع عنها فواتيرها..

وراحت ليزي تفكر في المبلغ الذي أنفقته على عرس أختها.. وألقت باللوم على نفسها إذ ما كان عليها أن تشتري ذلك الحذاء الباهظ الثمن. نظرت إلى الحذاء بشيء من الإحساس بالذنب.. لقد بالغت في هذا.. إلا أنه يتناسب مع الفستان. وعليها أن تبدو جميلة في عرس إيلي، فلن تتزوج أختها الصغيرة كل يوم.

وقررت ليزي بحزم، عدم التفكير بديونها اليوم، فهذا يوم فرحة إيلي.

وبعينين زرقاوين مليئتين بالحب، نظرت ليزي حولها، وبدا لها أن الضاحية كلها جاءت لترى إيلي تتزوج جاك هندرسون.. هل يمكن

www.romancia.com

لزواج كهذا أن يفشل؟ جالت ليزي بنظرها على الوجوه المألوفة لديها، فوجدتها مستبشرة، فرحة. ما عدا وجهاً واحداً!

كان يقف وحيداً، صامتاً مقطباً يتأمل الحفل بشيء من عدم الرضا. ولكنه بدا بارزاً بطول قامته، وقسمات وجهه السمراء الخشنة.

كانت ليزي قد تلقّت في طفولتها كتاب قصص خرافية، زين بصور لحقول خضراء، وغابات سوداء، لم تعنِ شيئاً لطفلة ترعرعت في الأراضي الصحراوية البعيدة. إحدى هذه الصور، كانت لذئب، بالكاد يخفي نفسه تحت صوف خروف، وتراءت لها هذه الصورة فأحسّت بالشر المتربص، وهي تنظر إلى هذا الغريب الصامت، وتملكتها قشعريرة باردة على طول عمودها الفقري.

كان المصوّر الفوتوغرافي يحضّر للصور العائلية، فاستدعيت ليزي في تلك اللحظة لتقف إلى جانب أختها. لكنها رفعت رأسها قليلاً فوق كتف المصوّر كي يبقى الغريب الغامض تحت نظرها، وزاد فضولها واهتمامها به حين رأت كيف ينظر الآخرون إليه بطرف أعينهم ويتجنبون الاقتراب منه. وبات واضحاً أن ليزي ليست الوحيدة التي أحست بشيء مختلف في هذا الرجل الغامض، لعله خطر إلا أنه شديد الجاذبية.

أراحها المصور من وقفتها، فشقّت طريقها إلى حيث تستطيع تحية الضيوف من دون أن تغفل عن الرجل الغامض.

ازداد اهتمام ليزي.. من هو هذا الرجل، ذو القسمات القوية، والعظام البارزة، والشعر الأسود القصير؟ من هذا الذي تحيط به هالة الفخامة والكبرياء؟

لا بد أن أمها تعرفه.. فهو لا يبدو من النوع الذي يقطع مسافة طويلة إلى منطقة نائية ليحضر حفلة زفاف عادية، من دون أن يكون مدعواً.

استدارت لتسأل أمها، فوجدتها تتحدث إلى الكاهن، وعندما

التفتت مجدداً إلى الغريب، وجدت نفسها تنظر إلى عينيه مباشرة.. كانتا من القوة بحيث يشعر المرء معهما بالخوف. أحست ليزي بقلبها يخفق بشدة، وبحلقها يجفّ، وشعرت بالأرض تموج بها. لحظات مرت.. أحست ليزي خلالها أنها عالقة للأبد. فعيناها تسمرتا في عينيه.

وأخيراً، ابتسم الغريب، إلاّ أن ابتسامته كانت سريعة ساخرة، فاصطبغ وجه ليزي بالحمرة، وتملكها الغضب.. أزاحت عينيها عن عينيه، وأدارت له ظهرها عمداً، وقد شعرت بأن طعنة قاسية أصابت قلبها الرقيق.

لم يكن في ابتسامته معنى وتملكت ليزي الحيرة، فمن تسأل عن هوية الغريب. وقرّرت تجاهله، لكنها عجزت عن ذلك.. ولكي تشغل نفسها عنه راحت تمارس دور وصيفة العروس وتتنقل بين الضيوف، تحتضن الأصدقاء القدامى، تضحك، وتقر أن إيلي عروس جميلة، وأنها وجاك مناسبان لبعضهما. وبالرغم من أن ليزي أدارت ظهرها للغريب الذي أثار غضبها وفضولها في آن معاً إلاّ أنها شعرت أنه يرافقها كيفما تنقلت، ويحدق فيها بشكل مثير للأعصاب، كلما التفتت.

مشاعر متناقضة عصفت بليزي، فما أن يغيب عن ناظريها حتى تفتقده. وحين توقفت قليلاً لتشرب كوباً من العصير، وراحت تراقب الموجودين، بنظرة خفية، وقد ارتسمت تقطيبة خفيفة على وجهها.. سمعت صوتاً يهمس في أذنها: «هل تبحثين عني؟».

بهتت ليزي، وانسكب العصير من كأسها وهي تستدير.

لا بد أنه الغريب، وشعرت ليزي بسخريته واضحة عن قرب. وحين نظرت إليه بامعان، رأت أن عينيه الرماديتين، تبدوان وكأنهما من زجاج مقارنة مع سواد شعره ورموشه.. وأحست بعدم ارتياح لأن عينيه نفذتا إلى أعماقها وقرأت ما بداخلها.

التفتت إليه، بما ظنت أنه برود، مع أن قلبها اتخذ له مسكناً في

حلقها، حيث أخذ يتخبط ويقطع أنفاسها.

قررت ليزي أن تجيب عن سؤاله، فاستجمعت قواها وقالت بصوت بدا عليه اللامبالاة: «ولماذا عليَّ أن أبحث عنك؟».

فأجاب: «لأني الشخص الوحيد الذي لم تعانقيه بعد».

كانت لكنته غريبة، ليست استرالية ولا أميركية.. لكن في ما بينهما.

وأكمل بشيء من التهكم: «لا تودّين أن يفوتك أحد.. أليس كذلك؟».

ابتلعت ليزي ريقها العالق في حلقها بقوة، وقالت بحزم: «أنا لا أعانق سوى من أعرفه، وأنا لا أعرفك».

- يمكننا أن نتعارف.. مع أنني أعرف تماماً من أنت.

فتحت ليزي فمها متسائلة وقد علت الدهشة وجهها: «هل تعرف من أنا؟».

- سألت عنك.. أنت اليزابيت واكر، الشقيقة الكبرى للعروس، المعروفة بليزي، وأنت فتاة لطيفة.

لسبب ما، أزعجها هذا الوصف، وقالت بحدة: «هذه ليست الطريقة التي أصف بها نفسي».

فقال بلهجة ساخرة: «أوه.. وكيف تصفين نفسك؟».

فردّت بترفع، وقد استعادت توازنها: «أنا امرأة عملية.. وميداني العلاقات العامة».

خفض نظره نحو الأسفل وقال: «هذا يفسر انتعالك هذا الحذاء الفاخر».

إنه الشخص الوحيد الذي لاحظ حذاءها الجديد.. ولم تستطع سوى أن تبتسم. كان هناك شيء مميز في الحذاء، فقالت بزهو: «أوليس رائعاً؟».

ونسيت للحظة أن هذا الحذاء لا يعجبها، إلاّ أنها اضطرت لشرائه بسبب عرس أختها.

رفع عينيه ببطء من الحذاء إلى وجهها.. كانت ليزي طويلة، وجسمها رشيق ومتناسق، حتى أنها لم تنج من حسد صديقاتها. لكن يؤكدن أن قوامها متناسب مع شخصيتها. وليزي تعرف في أعماقها أن هذا صحيح، مما يشعرها بالرضا والفخر لكن ذلك لم يمنعها من التذمر.

من أجل عرس إيلي، ابتاعت فستاناً رائعاً، يبرز جسمها المتناسق وبشرتها المتألقة، ويظهر لون عينيها الزرقاوين وتموجات شعرها الأشقر، وأحمر شفاهها الجريء.

لا يمكن وصف جمال ليزي بالكلاسيكي. لكن وجهها المشرق مليء بالحيوية بحيث لم يلاحظ أحد من قبل أن أنفها كبير، وفمها عريض، أو أن الهالات تحيط بعينيها.

قال الرجل، بوجه ثابت: «رائع».

لكن نبرة صوته، أعادت اللون الأحمر إلى خدي ليزي.. وأشاحت بنظرها مسرعة، وأحست بالارتياح حين عادت نظرته إلى الحذاء، ليضيف: «لكنه ليس عملي».

ليس عملياً بالتأكيد، وكاد كاحلها يلتوي مرات عديدة، على أرضية المكان غير المستوية.. وأدركت أنها تحبس أنفاسها، فأطلقتها، وقالت بحزم: «هناك أشياء في الحياة أهم من أن تكون عملية».

ولمعتِ في عينيه الباردتين الرماديتين روح الدعابة: «يبدو أنك الوحيدة هنا التي تعتقد هذا!».

تأملت ليزي أولئك الذين كبرت معهم. إنهم رائعون، وهي تحبهم بعمق.. لكنهم لا يفهمون شيئاً عن الأحذية.

قالت، وقد عادت نظرتها لتلتقي نظرته بشبه تحدٍ: «يجب أن تكون

عملياً لتعيش في هذه الصحاري النائية. أما أنا، فلا أعيش هنا. أنا ابنة مدينة الآن».

ـ هذا ما لاحظته.

ولم تفهم ليزي ما عناه. ولاحظت في صوته رنة غريبة لم تستطع فهمها، فقالت بنظرة متحدية: «يبدو أنك تعرف كل شيء عني، لكنني ما زلت لا أعرف من أنت».

ـ أنا تاي غيبسون.

وابتسم ساخراً للتعبير الذي ارتسم على وجهها وأجاب على سؤال لم تطرحه: «أجل.. تاي غيبسون ذاك.. ألم يقل لك أحد إن الخروف الأسود عاد إلى المنطقة؟».

اعترفت ليزي، مدهوشة أكثر من أن تفكر بردها: «لا».

ولم تستطع سوى أن تحدق فيه.. تاي غيبسون! لم يره أحد منذ ترك أملاك عائلته منذ عشرين سنة.. لكن الجميع يعرف أخباره بالطبع.. فبعد أن قطع كل صلة بوالده أدار ظهره للصحراء ومضى ليصنع ثروته.. ولم تكن ثروة عادية صغيرة.. لم يكتف بالملايين.. بل تجاوز ذلك بالتأكيد.

لم تكن ليزي واثقة أبداً مما فعله تاي.. لكنها تعرف أن شركته عملاق عالمي، وأن اسمه نموذج للقسوة في العالم كله. ولم يكن هذا أمر سيء لفتى من «باراكريك»، لكنه ليس بطلاً محلياً. على أيّ حال، لقد صنع تاي ثروته بنفسه، ولم ينجح بذلك بالتصرّف بلطف.

بدا وكأن كل من عمل معه، ندم. ولم تكن الصحافة تحبه.. وبرفضه الدائم لإجراء المقابلات، بدا تاي غيبسون قانعاً بأن يظن الناس أنه من دون قلب أو أخلاق.. وكلما ازداد غنى واعتزالاً، كلما كثرت الأساطير عنه.

كما أن الضاحية التي ترعرع فيها، لا تذكره بالخير.. كانت ليزي

فتاة صغيرة حين ترك والده ليكافح وحده، ولم تلتق به أبداً.. لكن الشائعات تتحرك سريعاً في هذه المناطق النائية، وكانت تعرف كل شيء عن سمعته البغيضة.. ولم يأسف أحد لرحيله.

لقد عاد الآن على ما يبدو.. ولن يكون من الصعب معرفة السبب. قالت: «ألم تتأخر قليلاً؟».

ارتفع حاجباه السوداوان: «ماذا تعنين؟».

ـ جنازة أبيك كانت منذ أسبوع.

ـ وبالتالي؟

ـ بالتالي، ألم يكن بإمكانك بذل بعض الجهد لتحضر في الوقت المناسب؟

ارتسمت القسوة على وجهه: «أعتقد أن هذا سيكون نفاقاً.. ألا تظنين ذلك؟ فأنا ووالدي لم نكلم بعضنا منذ عشرين سنة.. فما جدوى بكائي بدموع التماسيح على نعشه؟».

نظر حوله مكملاً: «كما أشك في أن يرحب بي أحد.. وهذا واضح اليوم».

ـ وهل دهشت؟

ـ أبداً.

والتوت شفتا تاي سخرية: «لا شيء تغير هنا. ولم أتوقع أبداً أن أُستقبل كالابن الثري».

ـ ربما لو جئت لترى والدك وهو حي، للقيت هذا الاستقبال.

وتعجبت لحدتها.. فهي ليست هكذا في العادة. إن طبيعتها مرحة، وتسعى لأن يحبها الجميع.. لكن هناك شيء ما في تاي غيبسون يثير أعصابها، ويُشعرها بالاضطراب والغضب.

رفع تاي حاجباً غير مصدق، وهي تكمل: «أراد أن يراك».

ـ حقاً؟

فقدت ليزي بعضاً من ثقتها: «حسن جداً.. هذا ما سمعته.. سمعت أنه توسل إليك أن تعود، ليراك قبل أن يموت».

ضحك تاي، لكن من دون مرح: «كم كنت أود أن أرى أبي يتوسل».

وبدا لليزي مما تذكره عن فرانك غيبسون، أنه محقّ.. فقد كان رجلاً متكبراً.

ـ أتعني أن هذا غير صحيح؟

ـ مجرد إرسال رسالة لي، يعتبره أبي استسلاماً.

ترددت ليزي: «لو كان يحتضر.. لنظر إلى الأمور بمنظار مختلف».

لكن تاي ابتسم ساخراً: «لم تعرفي أبي جيداً.. أليس كذلك؟».

نظرت إليه بشيء من الحيرة: «ماذا تفعل هنا إذن؟».

ـ جئت أشرف على شؤون أبي.. ولأرى «بارا» مجدداً.

ـ لكنني ظننت...

وصمتت ليزي، تعي بغير ارتياح أنها تكرر الشائعات.

ـ ظننت ماذا؟ أن والدي حرمني من الميراث؟

ردّت بارتباك: «حسن جداً.. أجل».

لم يخفِ فرانك يوماً أنه مجروح بمرارة لنبذ ابنه له.. وحين لم يرجع تاي وهو يحتضر، افترض الجميع أنه سيفعل ما هدد به دوماً، ويحرم تاي من الميراث.

قال تاي: «لا.. لم يفعل».

لكن فمه أصبح خطاً متجهماً، وتساءلت ليزي عما يفكر فيه. ولم يكن ما يفكر به لطيفاً.. هذا مؤكد.

أي نوع من الرجال يمكن أن يرفض زيارة والده المحتضر؟ هذه قسوة.. ونظرت إليه تزنه من تحت رموشها. لم يندهش أحد لعدم

حضوره، لكن بدا لليزي أن وجهه لا يماثل أبداً سمعته.. صحيح أنه حذر، مغلق، وعنيد، لكنه ليس قاسياً.. يبدو كالجواد الجامح الأسود الذي يرفض الترويض.. فمه قاسٍ، لكن لعله لم يكن هكذا دوماً.

قد يبدو مختلفاً تماماً لو أنه سعيد. وتأخرت عينا ليزي الزرقاوان على فمه، تحاول أن تتصوره يبتسم.. ليس ابتسامة ساخرة، بل ابتسامة حقيقية.. ما الذي يجعله يبتسم هكذا؟ امرأة؟ أو ربما الحب؟ ووجدت ليزي نفسها تتخيّله.. فتحرك شعور خائف داخلها.

أشاحت بنظرها بعيداً، وارتشفت قليلاً من العصير. هذا تاي غيبسون.. تذكري! تقول الشائعات إنه انتزع قلبه منذ زمن بعيد.. ولعل فكرته عن السعادة، هي يوم لطيف يقضيه في سلب ممتلكات شركة ما، تتبعه ساعتان من الاسترخاء في البورصة.

قرعت ملعقة على كأس لتسترعي الانتباه، ووقف والدها على كرسي ليلقي خطاباً.. لانت عينا ليزي وهي تنظر إليه. الوالد العزيز العجوز هادىء مطمئن غير مضطرب.. ستضيع من دونه، ولا يمكن أن تتصور أنها تعاديه عشرين سنة.

تبع خطاب أبيها، خطاب جاك، وكان مرحاً جداً أضحك الجميع. وأنهى كلامه بشرب نخب ليزي وصيفة العروس، فصفق الجميع وهللوا، مستديرين لتحيتها حيث تقف مع تاي.

صاح الجميع: «في صحة ليزي!».

لكنها أدركت بارتباك أن ابتساماتهم لم تشمل تاي.

أرسلت قبلة عرفان إلى جاك وهي تضحك، لكنها سرّت حين عاد انتباه الجميع إلى العروس والعريس مجدداً.

اختلست نظرة من تحت رموشها نحو تاي.. لو كانت مكانه لأحست بالخزي للطريقة الواضحة التي تم تجاهله فيها. لكن تعبير وجهه لم ينم عن شيء أبداً، مع أن ليزي واثقة من أنه لاحظ هذا..

فعيناه الثاقبتان لا يفوتهما شيء.

نادتها إيلي: «ليزي!».

والتفتت ليزي بسرعة لترى أختها تلوّح بباقة العروس، وتصيح: «التقطي!».

وطارت الزهور نحوها، والشرائط تلوح، فوضعت ليزي كأسها في يد تاي، وقفزت لتلتقط باقة الزهر بكلتي يديها.. وتعالى الهتاف حين لوّحت بالزهور منتصرة.

نادى أحدهم: «أنت التالية!».

وضحكت، تستدير مجدداً إلى تاي.

ـ أتمنى لك هذا!

كان وجهها مشرقاً وهي تلتفت إلى تاي.. وكان يراقبها بتعبير غريب جعل ابتسامتها تتلاشى ببطء..

ـ شكراً لك.

نظرت إلى الكأس الذي ما زال يحمله، فقدمه لها من دون انتباه.

ساد الصمت.. وكانت ليزي تحسّ بعيني تاي تحرقان وجهها.. وضعت الكأس من يدها لتعبث بالزهور لكنها، ولسبب ما لم تستطع النظر إليه.

قالت، والحدة في صوتها: «أعتقد أنك تعتبر هذه الأمور سخيفة».

ـ ولماذا تقولين هذا؟

ـ أنت لا تؤمن بالزواج.

ـ وما أدراك؟

فكرت ليزي بكل النساء الجميلات اللواتي خرجن مع تاي، ثم ظهرن في الصحف يتذمرن من برودته، وأنانيته، ورفضه الالتزام بعلاقة. ولطالما استغربت لأنهن يبدين ساخطات لفشلهن في تحويل هذا الناسك الفاقد القلب إلى رومانسي.. وكأنهن لا يعرفن ما يتوقعن بالضبط.

قالت: «لقد قرأت عنك في الصحف».

ولم يحاول إخفاء سخريته: «الصحف..! لا بد أن هذا صحيح إذن!».

ـ أوليس صحيحاً؟

هز كتفيه: «لنقل إنني واجهت صعوبة في فهم سبب كل تلك الضجة».

وطافت نظرته على الحضور، ثم أضاف: «حفلات الزفاف متشابهة، الجميع متشابهون، الأقوال نفسها.. الطقوس الرتيبة المملة في كل مرة، الفساتين، الصور، الخطب، باقة الزهر».

وكشر وهو ينظر إلى باقة الزهر التي تحملها ليزي في يدها، فضمتها إليها وكأنها تحميها.. وقالت بنظرة متحدية: «أحب تقاليد الزفاف كلها.. وإذا تزوجت يوماً فسأطالب بكل شيء!».

سأل: «لكن.. ما الجدوى؟».

ورأت شفته تلتوي لفكرة رؤيتها بالثوب الأبيض الطويل.

وتابع: «بإمكانك قطع كل قوالب الحلوى، ورمي كل باقات الزهر، لكن هذا لا يغيّر حقيقة أن الزواج صفقة، كغيرها من الصفقات.. وعندما يظن أحد الفريقين أنه لم يحصل على حصته العادلة من الاتفاق، ينهار كل شيء.. وفجأة، سيتلقى كل من أرسل لك هدية زواج، خبر الطلاق!».

ـ أنت رجل متشائم ومشكك.

صحح لها: «بل واقعي».

ـ الزواج ليس صفقة تجارية! إنه الحب والالتزام والمشاركة.

سخر منها تاي: «أنت رومانسية».

سألت بحرارة: «لماذا يسخر الناس من هذا الكلام؟ ليس هناك أي خطأ في الإيمان بالحب!».

هز تاي رأسه: «لطالما أذهلني كيف أن الأذكياء يصرّون على أن الزواج بداية للسعادة الأبدية! ألم تقرأي يوماً في الصحف الإحصاءات عن الطلاق؟».

ردت بوقار: «بالطبع قرأت، ولهذا يجب على المرء أن ينتظر حتى يتأكد تماماً أنه سيتزوج الشخص المناسب.. والانتظار يبدو لي الكلمة المفيدة. أنا الآن في الثالثة والثلاثين، وما زلت أنتظر! وما كان عليّ أن أوافق على أن أكون وصيفة أولى لإبلي».

ونظرت متجهمة إلى باقة الزهور: «تعرف ما يقولون.. وصيفة ثلاث مرات لن تكون عروساً أبداً».

قال، والسخرية تمتزج بنبرة أخرى في صوته: «لا تيأسي.. لقد التقطت باقة الزهر».

ـ لا أظنها نافعة لأنها رميت مباشرة إليّ.

وتنهدت ليزي، ثم احمرت قليلاً وهي تلاحظ نظرته.. يبدو أنه يصنفها كثلاثينية يائسة. وعليها في الواقع أن تبذل جهداً لتبدو أكثر إيجابية.

سارعت تكمل: «على أيّ حال، قررت ألاّ أتزوج إلا بعد أن أتأكد من أنه زواج مكتمل.. وحتى ذلك الحين، أركز اهتمامي على مستقبلي العملي».

ابتسم ساخراً: «آه.. أجل.. المرأة العملية. هل قلت إنك تعملين في العلاقات العامة؟».

قالت متفاخرة: «أجل، وأنا مستشارة حرة».

وأملت ألاّ يكتشف تاي أن جهودها لتأسيس نفسها لم توصلها إلى شيء حتى الآن.

قال معلقاً: «مجال العلاقات العامة محدود جداً هنا».

هزت ليزي رأسها فتمايل شعرها الأشقر حول وجهها: «نعم.. ولا

أعتقد أن أحداً في مقاطعة «ماتيسون» يعرف معنى العلاقات العامة! فأنا أعيش في «بيرث».. ولقد عدت إلى البيت لحضور عرس إبلي فقط، وسأعود يوم الاثنين».

ـ هكذا إذن..

لسبب ما أخذ تاي يتفحصها بنوع مختلف من الاهتمام.

ـ وهل أنت مشغولة في الوقت الحاضر؟

قالت بعدم اكتراث زائف: «لدي مشاريع عدة تنتظر».

مشاريعها ليوم الاثنين تتضمن شراء الصحيفة والتفتيش فيها عن إعلان عمل.. أي عمل يمكن أن يدفع لها الفواتير، ويجنّبها العودة زاحفة إلى رب عملها القديم لتطلب استعادة عملها.. ولا داعي لقول هذا لتاي غيبسون.

سأل بشكل عفوي: «هل تعرفين أحداً قد يهتم.. بمهمة خاصة؟».

نظرت إليه ليزي: «وهل لديك عمل؟».

ـ بامكانك أن تسميه عملاً.

كان في صوته نغمة خاصة. وتردد قليلاً: «إنها مهمة سرية جداً.. ولا أريد أن أفصح عنها كثيراً إلى أن أكون واثقاً من أنني وجدت الشخص المناسب».

سرية؟ يبدو هذا واعداً. وبللت ليزي شفتيها، وقالت بخفة: «في الواقع لديّ بعض الفراغ.. وقد أكون مهتمة».

تفرّست بها العينان الرماديتان الباردتان، وأجبرت نفسها على أن تبادله النظرات ببرود، وقال: «نحن نتكلم عن مركز هام، وأرغب بشخص مناسب».

أجفلت ليزي لتعبير وجهه المرتاب: «أنا مهنية تماماً».

لوّح بيده صارفاً النظر عن كلامها: «العمل أمر سهل. أنا أبحث عن شخص لا يخاف أن يبرز بين الناس.. شخص لديه طموح. شخص

مستعد لفعل أي شيء لإنجاز العمل».

أكدت له: «أنا أجمع هذه الصفات».

ـ حقاً؟ لقد سألت عنك منذ قليل، وكل ما قيل لي هو إنك فتاة لطيفة.. وما من عيب في الفتيات اللطيفات، لكنهن لا يثبتن طويلاً في موقف تنافسي. وأظنك لطيفة أكثر من اللازم بالنسبة لي.

أصيبت ليزي بخيبة أمل: «ليس دائماً».

بدا لها أن الفرصة الرائعة التي ظهرت من دون توقع بدأت تفلت من قبضتها.. فالعمل لشركة «جي سي اس» سيشكل نهاية لكل مشاكلها.. ولن تترك الفرصة تفلت منها.

ـ السبب هو عرس أختي.. وأنا مضطرة أن أكون لطيفة اليوم، لكنني مختلفة تماماً حين أعمل.

بدا تاي غير مقتنع، وقال يحذرها: «ليس لدي الوقت للدموع ونوبات الغضب والمشاعر المجروحة.. لا وقت لدي سوى للنتائج، فهل تعتبرين نفسك قاسية بما يكفي للعب معي؟».

أظهرت ليزي ثقتها بنفسها، بعد إخفاء هواجسها الداخلية بفعالية: «أعرف أنني هكذا.. ماذا عليّ أن أفعل لأقنعك؟».

لم يرد تاي على الفور، بل فكر قليلاً، والتفت حوله قبل أن تعود نظرته لتستقر على وجه ليزي.

قالت بتهور: «سأفعل أي شيء».

قال: «حسن جداً.. عانقيني».

* * *

٢ ـ الفتاة المناسبة

احمرّت ليزي خجلاً، وارتفع صوتها مثل صرير حاد: «أعانقك؟».

وعقبت بسرعة: «ولماذا أفعل هذا؟».

هذا أفضل.. أكثر ثباتاً، مع بعض التسلية لتظهر له أنها عرفت أنه يمزح.. هكذا، أقرب إلى مستشارة العلاقات العامة المثقفة كما يفترض أن تكون.

قال تاي: «قلت إنك ستفعلين أيّ شيء».

ومن دون أن تدرك السبب، بدأت طمأنينتها تتلاشى، ونظرت إليه مترددة: «حسن جداً.. أعرف أنني قلت هذا.. لكن..».

ـ وهل تعنين أنك لست مستعدة لفعل أيّ شيء؟

ـ أنت لست جاداً!

ـ ألا أبدو جاداً؟

بدا.. جاداً تماماً.

ابتلعت ليزي ريقها: «وهل تعانق كل موظفة محتملة هكذا؟».

ـ من لديها إمكانية لعب دور مميز فقط.

كان وجهه جامداً، لكن ليزي لاحظت بوادر دعابة في العينين الرماديتين.

ـ أنت تمزح!

ـ لا.. أنا لا أمزح. سألت عمّا يمكن أن تفعلي لاقناعي بإعطائك

الفرصة، ولقد قلت لك، بإمكانك معانقتي.

ـ لكن، كيف لك أن تعرف مؤهلاتي في العلاقات العامة من مجرد عناق؟

وتجاهلت دقات قلبها المتسارعة لفكرة عناقه.

قال تاي: «أنا لست مهتماً بمؤهلاتك.. أريد أن أعرف ما إذا كنت مستعدة لتبرزي بين الناس.. ولا أعني بانتعال حذاء سخيف فقط، انظري حولك ليزي».

وأدار رأسه نحو المدعوين: «أترين كم شخصاً يراقبنا، ويحاولون إخفاء ذلك.. إنهم لا يحبون فكرة أن تكلميني».

هذا صحيح.. ولحقت ليزي بنظرته. ولاحظت الأصدقاء الذين تعرفهم منذ سنوات يشيحون بعيونهم، فيما آخرون ينظرون إليهما خلسة. وأحسّت بعدم الارتياح.. فاستدارت إلى تاي والتقطيبة ظاهرة في عينيها الزرقاوين.

حسن جداً.. ليس أكثر الرجال فتنة في العالم، ولعل سمعته مريبة، لكنه ليس سيئاً إلى هذا الحد. ولن تتمادى ليزي كثيراً لتقول إنه يعجبها، فهو بارد وقاسٍ، ولم يحاول أن يخفي ازدراءه لعائلتها وأصدقائها.. لكن غموضه يثير اهتمامها واضطرابها، في الوقت عينه.

قال تاي: «لست مرحباً بي هنا».

ولم يبدُ منزعجاً لهذا الواقع حين أضاف: «ما من أحد مستعد أن يقول لي هذا مباشرة. لكن الأمر واضح، أنا لا أنتمي إلى هذا المكان.. ولو أعطيتهم أتفه عذر لسرّ أشخاص كثيرون برمي إلى الخارج. لم يعجبهم أن يروك هنا معي طوال الوقت، فكيف ستكون، برأيك، ردة فعلهم لو عانقتني؟».

حاولت ليزي تصورّ الموقف. لكن، بالرغم من قدرتها على تصور عناقهما بوضوح مذهل، إلاّ أنها عجزت عن تصور رد فعل كل من

يراقب.

ورد تاي بدلاً منها: «ستقولين إنك لا تهتمين بآراء الآخرين.. وإنك على استعداد لأن تفعلي ما يلزم للحصول على ما تريدين».

ونظر إلى وجه ليزي، وقد ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتيه، بينما أخذت تتصارع في نفسها نوازع شتى، وبدا ذلك واضحاً في عينيها الزرقاوين، وأكمل: «وهذا هو نوع الشخصيات التي أبحث عنها».

ـ وإذا لم أكن كذلك؟

هز كتفه دونما اكتراث: «تبتعدين، وأغادر، لأبحث عن غيرك».

تساءلت ليزي وبما يقارب الوقاحة، عما إذا كان يهتم بأي من الأمرين. والتفتت بعيداً، تمرر إصبعها بعصبية على قاعدة كأسها.

لطالما فاخرت برفضها التقولب، ولطالما تذمرت وهي صغيرة من التصرفات التقليدية لأبويها وأصدقائهما.. ولعل المساحات هنا كبيرة وواسعة، لكن العقلية السائدة عقلية البلدة الصغيرة المميزة.

تشوّقت ليزي لتترك موطنها إلى المدينة. كانت تعدّ نفسها بالفعل، فتاة مدينة، وعندما تعود إلى البيت، تتأكد من تأنقها إلى أقصى حدّ. وتحوّلها إلى ذلك النمط من الفتيات المتحديات أثار عند الآخرين شيئاً من السخرية، وراحت ليزي تلعب دورها بدقة، فهي تعرف أن المزاج المزعج تعبير عن عاطفة، وراق لها أنهم يعتقدون أنها غير تقليدية.

لقد قلت إنك لا تهتمين بآراء الآخرين.

بهذا تحداها تاي، وكم أحست بتوق لمواجهة هذا التحدي.. لكن، في أعماقها كانت تعرف أنها تهتم بهؤلاء الناس، فهم عائلتها وأصدقاؤها.. قد لا تختار أن تعيش هنا في هذه المنطقة النائية، لكن هذا لا يعني أنها تريد أن تصدمهم أو تغضبهم من دون ضرورة. في الواقع، تريد أن يحبها الجميع.

وسيتصاعد السخط لو عانقت تاي غيبسون.. وبالرغم من ثقتها

بنفسها اضطربت لهذه الفكرة.

دافعت عن نفسها، من دون أن تعي أن أفكارها انعكست على وجهها بوضوح: «من غير المعقول أن أرمي نفسي بين ذراعيك وسط عرس أختي. سيسبب هذا فضيحة، ولو أنه قد يثبت وجهة نظرك، لكنني لست مستعدة لأن أفسد لها يومها.. لن يكون هذا عدلاً».

بدا تاي ضجراً من عصبيتها، وقال مع نظرة ساخرة: «لم أكن أفكر بعناق حار، وأعرف أنك فتاة لطيفة جداً لا تقدمين على مثل هذا الشيء!».

لم تكن ليزي واثقة من أن لهجته حين قال كلمة «لطيفة» أعجبتها.. ولا يعود السبب إلى أنها تريد أن تعانقه.. لا سمح الله! لكنها لم تشأ أن تكون فتاة من النوع الذي لا يجرؤ على شيء.. ووقفت وهي تشعر بالغباء، غير قادرة على أن تقرر ما إذا ارتاحت أم اغتاظت لعدم اهتمام تاي بأن تعانقه.

سألته مترددة: «وبماذا كنت تفكر؟».

رفع حاجبيه بطريقة جعلت ليزي تشعر بالسخف: «كنت أفكر بعناق سريع.. لتقولي لي وداعاً.. وهذا كل ما في الأمر».

عضت ليزي شفتها.. بين الجمع، لمحت والديها يحييان أصدقاء في الطرف الآخر من القاعة.. لن يعجبهما أن تعانق تاي كما لن يعجب الجميع.

ربما لن يلاحظ أحد. وقد يحل الظلام، وتشارف الحفلة على نهايتها.. وسينشغل كل واحد منهم بشؤونه فلا يتساءلون عما تفعله مع تاي غيبسون. على أيّ حال لن يستغرق هذا سوى ثانية.

تستحق المسألة العناء.. «دور مميز جداً»، أوليس هذا ما قاله؟ وعدا عما يعنيه هذا لسيرتها الذاتية، فإن العمل في شركة مثل «جي سي أس» مغرٍ.

إنها لا ترغب في أن تكدر أحداً، وهذا جيد. لكن الواقع القاسي، ذكرها بأنها بحاجة إلى المال. فمنذ استقلّت بنفسها، اضطرت لدفع الفواتير وحدها.. كما أن عرس إيلي مكلف جداً. وماذا عن السفر بالطائرة ما بين «بيرث» و«ماتيسون» لتشتري الهدايا وتبحث عن فستان يناسب وصيفة العروس.

هذا من دون ذكر الحذاء.

نظرت ليزي إلى كأس العصير في يدها، وهشت في سرّها.. سوف تتمكن من دفع ما ترتب عليها من ديون.. واجهي الحقيقة.. الخيار الآخر الوحيد هو الحصول على عمل من أي نوع للتغلّب على الصعوبات.

لقد فعلت هذا من قبل، وعملت في مقهى. لكن هذا ليس ما خططت له وهي في الثالثة والثلاثين من عمرها.

يمكنها أن تطلب العون من أبويها. لكن هذا غير معقول الآن وهما يواجهان مصاريف العرس.. وقررت ألاّ تلجأ إليهما. فهذه غلطتها حين تخلت عن وظيفة ممتازة، وعليها أن تجد طريقة لتحلّ مشاكلها المالية.

يمكنها أن ترضى بعمل في مقهى، أو.. أن تعانق تاي غيبسون.

الخيار بين جمع ما يكفي من المال لدفع ديونها، وبين التمسك بفرصة عمل مهمة في مؤسسة لها مكانتها، يمكن أن تعيد دفع مستقبلها المهني.. ولماذا التردد؟

كان تاي يراقب مشاعرها المتضاربة على وجهها، لكنه نظر إلى ساعته ووضع الكأس من يده: «يجب أن أذهب».

نظرت إليه ليزي بخوف: «ماذا.. الآن؟».

ظنت أن أمامها بقية الأمسية لتستجمع شجاعتها.

قال تاي: «لا داعي لبقائي، لقد أنهيت ما جئت من أجله. ظننت أنه من المثير للاهتمام أن أرى إذا ما تغيرت الأمور هنا، لكن يبدو أنها

لم تتغير».

لمعت عيناه الرماديتان بسخرية وهو ينظر إلى ليزي: «هل أوصل نفسي إلى الخارج.. أم سترافقينني؟».

من السخف إثارة كل هذه الضجة من أجل عناق. كل ما عليها أن تفعله، هو أن تسير معه إلى الباب، وتقول له وداعاً، وتضغط خدها على خده.

وضعت ليزي كأسها من يدها، وقالت: «سأرافقك».

لاحظت وميضاً في عيني تاي، ما لبث أن اختفى.

- جيد.

استدار، واتجه إلى الباب الخشبي المفتوح على الليل في الخارج.

لا يمكن التسلل على أطراف الأصابع بالنسبة لتاي غيبسون، هذا ما فكرت فيه ليزي بمزيج من السخط والإعجاب وهي تلحق به. إنه شخص يتجه مباشرة إلى ما يريد.. ويودي إلى الجحيم بمن يقف في وجهه.

سار بخطوات عريضة متروية كرجل اعتاد أن يسير وحيداً، من دون أن يلحظ العدائية الواضحة، أو طريقة ابتعاد الجميع بتوتر أمام ثقته القاسية بنفسه. كافحت لتسير بجانبه في حذائها الذي لم يرق له، وهي تشعر بالعيون تلاحقها.. هل يمكن ألاّ يلاحظها أحد؟ شعرت وكأن فرقة عزف ترافقها إلى الباب.

ارتفعت همهمة خلفهما مع عودة الضيوف لتشكيل مجموعات. لكنها لم تسمع شيئاً. فقد توقف تاي عند الباب ينتظر أن تلحق به..

وقالت ليزي في سرّها إن انقطاع أنفاسها المفاجىء مرده إلى السير بسرعة على كعبين غير ثابتين.. ولا علاقة له أبداً بمسألة أنها ستعانق تاي في أيّ لحظة.

ساد الظلام في الخارج، خطوتان أخريان ستوصلهما إلى الظل.

لكنه وقف متعمداً في الباب، فأحاطت الظلمة بهما من الخارج، وسطع النور المشع فوق رأسيهما مباشرة.. بدا وكأنهما على خشبة مسرح.

مد تاي يده: «سأودّعك الآن».

كان وجهه جامداً، لكن عينيه لمعتا بتحدٍ ساخر.

وأدركت ليزي أنه يعتقد أنها ستفقد شجاعتها. يكفيها أن ترفع ذقنها نحوه، فهذه فرصتها لتثبت نفسها.

أخذت يده الممدودة، وقالت: «وداعاً».

وأدهشها ثبات صوتها.

كان كفه بارداً وثابتاً.. ومع إطباق أصابعه على أصابعها أحست بشعور غريب في داخلها أثار اضطرابها، لكنها أجبرت نفسها على النظر إلى عينيه مباشرة، وعيناها الزرقاوان تشعّان بالتحدي.

قالت متعمدة: «سرّني أن ألتقيك».

ومن دون أن تترك يده، رفعت الأخرى لتضعها على صدره.

أحست بقوة جسمه تحت سترته، وكأن هذه القوة تخترق كفها، وتدغدغ ذراعها لتدخل عمق كيانها.. وفجأة أحسّت وكأن الزمان أخذ يبطىء، فيما أحاسيسها تتسارع.. أحسّت برقة الثوب تحت يدها، وبأصابع تاي تأسر أصابعها، وبدقات قلبها المتسارعة في أذنيها.

كانت ليزي فتاة طويلة، لكن تاي أطول منها قامة، وحين لم يقم بأيّ جهد ليحني رأسه، اضطرت إلى الوقوف على أطراف أصابع قدميها لتدنو منه.. ولمست عضلات صدره بأطراف أصابعها الباردة، فشعرت بقوتها، وتنشقت رائحته الرجولية الساحرة، مما أرسل الرجفة في أوصالها.

بدا وكأن ضباباً غامضاً يلفهما، والزمن يتحرك ببطء.. ونسيت ليزي الناظرين إليهما، لكنها لم تنس ما تفعل. وحين أحست بأصابع تاي ترخي قبضتها، شدت أصابعها.. إذا أرادت أن تبرهن شيئاً ما فمن

الأفضل أن تفعل هذا بشكل لائق.. ولسوف تثبت لتاي مدى رغبتها في أن تتميّز عن الجميع!

تصلب تاي متثاقلاً ويدها تتحرك من صدره إلى كتفه. وأدارت رأسها، فتشابكت للحظة عابرة العينان الزرقاوان بالعينين الرماديتين.. ثم ابتسمت ليزي، وأسدلت رموشها.

أحست بصواب ما أقدمت عليه، إلاّ أنها لا تستطيع إنكار أنه مثير للاضطراب.

أزعجها إحساسها هذا، وكادت تنسحب لو لم يختر تاي تلك اللحظة ليلف ذراعه الأخرى حولها ويضمها إليه بقسوة. ووجدت ليزي نفسها مسمرة بين صلابة جسمه، وقوة ذراعيه.. وأحست على الفور أنها عاجزة، وآمنة بشكل مربك.

وكان هذا كافياً لإنهاء العناق.. وسقطت ذراع تاي من حولها، وتركت يده يدها، وبقيت ليزي مضطربة ومرتبكة، عاجزة عن الوقوف مستوية على ساقيها اللتين راحتا ترتجفان. أما عيناها الزرقاوان فكساهما ما يشبه الضباب، وحاولت أن تستعيد توازنها، وأن تنفض عن عينيها الخمول.

ما الذي حدث؟ في لحظة كانت مصممة بكل برود أن تؤثر فيه.. وفي التالية تملكها ذلك الإحساس المندفع الصاخب.. المثير والمخيف في الوقت عينه.. ولا يمكنها أن تحدد كم دام هذا الإحساس. كل ما تعرفه أنه دام طويلاً بما يكفي لإبعاد العالم عن مداره الطبيعي، فلم تعد الأمور كما كانت قبله.

وأخيراً، ركزت نظرها وهي ترتجف على يدها التي أمسكت بكتف تاي، تجعد سترته بين أصابعها. أدركت متأخرة أنها ما زالت تتمسك به فانتزعت يدها بسرعة، مع أنها بحاجة لما يسندها.

عانقته لأنك بحاجة إلى عمل.. وليس لكتف تستندين إليها..

تذكري هذا!!

قالت: «حسن جداً..؟ هل ستفكر بأمري الآن؟».

قال: «بكل تأكيد سأفعل».

ودمّر كل محاولات ليزي اليائسة لتستجمع شجاعتها ورباطة جأشها حين ابتسم.

كان قد ابتسم لها من قبل.. ابتسامة ساخرة في أفضل الأحوال. أما هذه الابتسامة فمختلفة، إذ خففت خطوط التجهم على وجهه، وأدفأت برودة عينيه، وأكسبته فتنة مرحة. جاءت مدمرة بقدر ما هي غير متوقعة، فانتفض قلب ليزي بشكل غريب. تركها مقطوعة الأنفاس أكثر مما كانت عليه من قبل، وشعرت وكأنها أغمضت عينيها لتجد أمامها شخصاً مختلفاً تماماً.

سألت عن مقابلة العمل متلعثمة: «متـ.. متى؟».

لكن لسانها بقي ملتصقاً بسقف فمها، سميك، وضخم، بحيث لم تستطع إخراج الكلمات.

وبدا تاي متفهماً. فمد يده إلى جيب سترته الداخلي، وأخرج بطاقة عمل، وقدمها إلى ليزي.. فأخذتها بأصابع مرتجفة.

قال: «اتصلي بي».

واستدار ليخرج من القاعة إلى ليل البراري المرصّع بالنجوم، تاركاً ليزي تحدق فيه، وبطاقته في يدها من دون أن تقرأها.

* * *

خمس دقائق وتصبح الساعة الثامنة.. وللمرة التي لا عدد لها نظرت ليزي إلى ساعتها، وتساءلت عما إذا كان الوقت متأخراً لتغيّر حذائها.

أعجبتها صورتها في المرآة حين غادرت غرفتها. وبعد أن فكرت لوقت طويل في ما سترتديه، استقر رأيها على فستان طويل بسيط، يبرز

جمالها من دون أن يكشف الكثير من مفاتنها. كانت تفصيلته بسيطة جداً، تعتمد على لون أزرق متموّج، ونعومة القماش لزيادة التأثير..

واعتقدت ليزي أنها ستبدو فيه أنيقة، عملية، من دون أن تظهر محاولتها للتأثير على تاي.

لعل الفستان قصير أكثر مما يمكن أن ترتديه عادة لمقابلة عمل. لكن المقابلات عادة لا تشمل الطيران إلى سيدني، وأخذها من المطار في سيارة «ليموزين»، أو الإقامة في فندق فخم لدرجة أن عينيها جحظتا ساعة رأت الغرفة.

لزم ليزي الكثير من الوقت والشجاعة لتتصل بتاي صباح الاثنين، بعد زفاف إيلي. وجلست قرب الهاتف تعبث ببطاقته بين أسنانها، تتمنى لو تستطيع إبعاد ذلك العناق عن تفكيرها. وشعرت بالسخف، وتوترت بشكل مثير للأسى لفكرة رؤيته مجدداً، حتى احتمال سماع صوته على الهاتف، كان كافياً لإثارة أعصابها، وهيجان أوصالها.

وما الفائدة من كل هذا العناء للحصول على رقم هاتفه، إذا لم تحاول الاتصال به؟ سألت ليزي نفسها بإلحاح. سيحوّلها تاي على الأرجح إلى قسم شؤون الموظفين، ولن يكون لها أي شأن معه.

وستضطر إلى دفع ثمن الحذاء بطريقة ما.. أليس كذلك؟

بعد برهة، أدارت الرقم، ولكنها لم تصل إلى تاي بل إلى مساعدته القديرة التي قالت لها إنها ستهيء لتطير ليزي إلى سيدني، وإن السيد غيبسون سيراها على العشاء يوم الجمعة القادم، في الساعة الثامنة. وبدا لها هذا، وقتاً غير مناسبٍ لمقابلة عمل. لكنها أحست بالرهبة لحديث المساعدة الخاصة، ولم تسألها المزيد.

كانت معنوياتها مرتفعة خلال رحلتها إلى سيدني.. مقعد في الدرجة الأولى، وخدمة ليموزين من المطار، وجناح فخم في فندق ممتاز.. لا بد أن تاي كان يعني ما قاله عن الوظيفة.. وأطرت ليزي

على نفسها لمعانقته. صحيح أن الأمر كان مربكاً بعد ذلك، لكن من الواضح أن الأمر يستأهل العناء.

لكي تحتفل، خرجت ليزي فور وصولها إلى سيدني لتتسوق ووجدت حذاء مناسباً جداً لثوبها فلم تقاوم إغراء شرائه بدلاً من الحذاء الأسود الأنيق الذي جاءت به معها. وها هي الآن تجلس قرب بركة في البهو، منتظرة وصول تاي، وتتساءل عما إذا كان شراؤها للحذاء أمراً معقولاً.

لقد كان جميلاً.. لونه مناسب، وقد زيّن بريش طاووس صناعي، مثبت بحلي زجاجية.. لكن، لعله غريب بعض الشيء.

كان جميع من في الفندق يرتدي ملابساً خاصة يدرك المرء على الفور أنها باهظة الثمن. وشعرت ليزي ببضع نظرات إلى حذائها، تبعها رفع حاجبين مستخفين.. وهذا ما ذكرها بتاي بحدة.

سيصل في أية لحظة.. ونظرت ليزي إلى ساعتها مرة أخرى، محاولة التغلب على قلقها لشدة الانتظار. وضعت ساقاً على ساق، ثم أبدلتهما، وضربت بأصابعها على حافة المقعد، وقاومت اندفاعاً لتنهض وتتفحص زينتها.

حقاً.. إنها مثيرة للسخرية! واعتدلت في جلستها. هذه مقابلة عمل، وليست موعداً غرامياً، وستكون على ما يرام. كل ما عليها أن تفعله، هو أن تكون باردة، ومهنية. وتدع تاي يعرف أن ذلك العناق بالنسبة لها، لم يكن أكثر من تقنية مقابلات عمل غير عادية.

تمتمت لنفسها «باردة.. ومهنية» لكنها وجدت نفسها تنظر إلى حذائها.

لا.. ليست هذه الصورة المناسبة! يجب أن تبدّله، ولو أسرعت، يمكن أن تصعد إلى غرفتها قبل أن يصل تاي.

هبّت واقفة، واستدارت نحو المصعد. لكنها لم تخطو سوى ثلاث

خطوات حتى انفتح الباب الزجاجي، ودخل تاي إلى الردهة.

أحست ليزي بأنفاسها تنقطع، وتسمرت في مكانها. غمرها احساس حاد بالاستسلام إلى حد الصدمة. لم تتوقع أن تراه.. مألوفاً.. إلى هذا الحد. شعرت وكأنها تعرف منذ زمن طويل، ذلك الوجه الأسمر الحذر، والعينين المترقبتين.. وتلك السمات المعبرة عن قوة مكبوتة.

توقف تاي وسط البهو، وأخذت نظراته الثاقبة تبحث عن ليزي، فوجدها مسمرة بانتظاره. وتسارعت دقات قلبها بعنف، كلما اقترب منها.

ابتسمت متوترة: «مرحباً!».

انقبضت في داخلها لسماعها صوتها، باردة ومهنية؟ أجل.. بكل تأكيد!

تنحنحت، ومدت يدها: «شكراً لمقابلتك لي».

يا لحسن الأداء!.. بدت رابطة الجأش، متمكنة من الحديث، مسيطرة على مشاعرها، تقريباً.

كانت في عيني تاي نظرة غريبة، وهو يتفحصها.. بعرضها لتدقيق مكثف لكن غير شخصي. وتجولت نظرته من كتلة الشعر الأشقر التي تحيط بوجهها، إلى العينين الزرقاوين المتسعتين، إلى الفم المرح، ثم فوق الفستان الزاهي نزولاً إلى ساقيها الطويلتين الممشوقتين، وانتهت إلى الحذاء بريشه الملون وحليته المبهرجة.

ارتجفت إحدى زاويتي فمه، ورفع عينيه إلى عيني ليزي.

- من دواعي سروري.

أخذ يدها، وما إن أطبقت أصابعه على أصابعها حتى أحست برباطة جأشها تتلاشى.. كانت قبضته دافئة صارمة، وشعرت براحته تدغدغ ذراعها بخفة.. كل ما عليه أن يفعله، هو أن يهز يدها لتغرق في إحساس طائش، وكأنهما متعانقان مجدداً.. وهذا غير منصف.

قال تاي يذكرها: «أنت رسمية جداً. لقد تعانقنا آخر مرة التقينا فيها».

قال ذلك، وكأنها نسيت بالفعل، ولم تعد تتذكر ملمس سترته تحت أصابعها، أو ذلك الإحساس العميق، الضاج بالإثارة.. وكأنها لم تتمتع بكل ثانية، كانت ذراعه فيها تلتف حولها مثل عمود حديدي، لترفعها من دون جهد وتضمها إليه.

بللت ليزي شفتيها خلسة، وقالت ترفع صوتها فوق نبضات قلبها: «فعلت ذلك فقط لأنني أردت مقابلة عمل معك».

وتمنت لو يترك يدها. وعندما حاولت سحبها، اشتدت قبضته، وقال: «لقد نجحت».

والتمعت السعادة في عينيه، وهو يشدها إليه دون رحمة:

- لكن دعينا هذه المرة نتعانق لأننا سعيدان برؤية بعضنا.

كان يوم عرس! لكن، هذه المرة تحرّك تاي أولاً، وضمتها ذراعاه وأطالتا البقاء حول خصرها.

لا بد أن هذا أكثر التصرفات بروداً. لكن نيران أحاسيس ليزي استعرت، وانتبهت بقوة لرائحة شعره، وبرودة بشرته الخشنة. وغمرتها فجأة رغبة عارمة، بأن تستند إليه، أن تضع رأسها على كتفه لتستريح.

وللحظة، كانت واثقة أن تاي سوف يضمها أكثر، وأغمضت عينيها، تحضر نفسها للتجاوب المرتجف المرعب. لكن، بعد تردد قصير، رفع تاي رأسه وتركها.

فتحت ليزي عينيها بحدة، واحترقت وجنتاها بمزيج من خيبة الأمل والغضب لتسرعها في الظن أن بالإمكان حدوث شيء ما.

هل خمّن تاي كم جعلت من نفسها مغفلة؟ اختلست نظرة إليه من بين رموشها، كان من المستحيل أن تقرأ تعابير وجهه. وبدا لها ساحراً،

غبر مكترث، كحاله أبداً.

أمسك ذراعها قائلاً: «تعالي.. سنشرب شيئاً قبل العشاء».

قادها نحو المقهى المخبأ وراء أشجار نخيل خضراء.. كانت تشعر بيده تشد على ذراعها.. وتركته يقودها، فقد أحست أن ساقيها غير ثابتتين. وسرّها أن تغوص في مقعد وثير.

ظهر الساقي بإشارة من تاي، فطلب من دون أن ينظر إليه: «إبريق عصير».

ـ بكل تأكيد سيدي.

ـ إبريق عصير؟

وجاهدت لتبقى متماسكة.. باردة ومهنية..

سألت: «بماذا نحتفل؟».

ـ بمجيئك.

حدقت ليزي به. ولم تكن واثقة ماذا توقعت أن يقول.. ربما ربح صفقة بمليار دولار.. أو حطم شركة منافسة، أو أي شيء عدا ذلك.

أدركت أن فمها ما زال فاغراً، فاقفلته وسألت بحذر: «وهل ظننت أنني لن أجيء؟».

بدا وكأنه يفكر: «لم أكن متأكداً».

قالت: «ما كنت لأعانقك لو لم أرغب حقاً في العمل».

وخشيت أن يبدو كلامها وكأنه احتجاج أكثر من اللازم.

لكنه لم يتأثر بدوافعها: «هذا صحيح.. لكنني تساءلت عما إذا كنت قد غيرت رأيك بعد أن رحلت، لا بد أن كثيرين حاولوا إقناعك بأن التعامل معي خطأ فاحش، أم أنك ستقولين لي إن أحداً لم يلاحظ وداعك العاطفي لي؟».

قالت بحماس، وهي تتذكر كيف استدارت لتواجه النظرات الحانقة: «لقد لاحظوا.. وأمي لم تكن راضية».

قال تاي: «إنها لا توافق علي».

وكان هذا تقرير أمر واقع، لا سؤالاً.

ورنت كلمات أمها في أذنيها: «هذا التاي غيبسون رجل سيء! ولم يكن يوماً طيباً ولن يكون. لقد حطم قلب والده المسكين ليزي، ولسوف يحطم قلوباً أخرى قبل أن ينتهي.. تذكري كلامي وحاولي ألاّ يكون لك شأن معه!».

ردت بحذر على تاي: «حسن جداً.. ليس في الواقع».

قال ببرود: «عظيم.. ويجب أن أعترف أنني حين رأيتك أحسست أنك طيبة جداً، وشعرت أنك تستحقين المحبة. لكن، قبولك بمقابلتي مرة أخرى بالرغم من معارضة العائلة، يعني أنك تملكين ما يلزم».

ولم تتصور ليزي أن أحداً يمكن أن يكون سعيداً مثلها لسماع أنهما لا يتشابهان.. وقالت بصراحة: «بل يعني هذا أنني أحتاج إلى العمل».

مال تاي إلى الأمام ونظر مباشرة إلى عينيها الزرقاوين المحتارتين: «أعرف هذا.. ولدي شعور أن هذا يعني كذلك أنك الفتاة المناسبة التي أبحث عنها!».

* * *

٣ ـ أرجوك لا تبتسم

نظرات تاي كانت تخلع قلب ليزي من مكانه، وتجعلها تشعر بالخجل والاحمرار. لا تكوني حمقاء.. إنه يتحدث عن وظيفة.. وليس مهتماً بك.

قالت بابتسامة غير مقنعة: «عظيم».

وصل الساقي في تلك اللحظة يحمل إناء ثلج، وضعه على الطاولة بين تاي وليزي.

انتظر تاي إلى أن صب الساقي كأسين، ومال إلى الأمام ليلتقط كأسه ويقول: «نخب شراكة ناجحة!».

شراكة؟ هل قال شراكة؟ نظرت ليزي إليه بدهشة.. وسألت غير مصدقة: «أتعني أنني حصلت على الوظيفة؟».

قال بحذر: «إذا كنت تريدينها».

أكدت له بابتهاج: «أريدها.. أوه.. هذا رائع! شكراً لك!».

وابتسمت له وهما يرفعان كأسيهما مجدداً وعيناها الزرقاوان تلتمعان حبوراً.

وتابعت كمن يهذي: «لا أستطيع أن أقول لك كم أراحني هذا».

وتراجعت في كرسيها. أخيراً يمكنها أن تسترخي.

ـ بدأت أتساءل ما إذا كنت سأجد يوماً وظيفة أخرى.

ها هي تتلقى عرضاً للعمل مع شركة «جي سي أس»! ومضت

أفكارها قدماً إلى المستقبل. فالعمل لمثل هذه الشركة العالمية، لا بد أن يضم فرصاً للسفر.. أليس كذلك؟ وتصورت نفسها تنتقل من طائرة إلى أخرى تزور نيويورك و... وماذا؟

لكن خيالها ما لبث أن استفاق، وذعرت لأنها لم تعرف بعد، ما هي الوظيفة.

ـ ما هو بالضبط هذا المشروع الخاص الذي تريده لي؟

تردد تاي، ثم قال: «الأمر معقد قليلاً، وحساس جداً، ولا أريد قول المزيد إلى أن أكون متأكداً من أنني قادر على الثقة بك».

وانهارت معنوياتها التي ارتفعت. وقالت، غير قادرة على إخفاء خيبة الأمل من صوتها: «أتعني أنك قد لا تريدني؟».

قال إن الوظيفة لها إذا أرادتها؟

نظر إليها تاي، فيما كانت ابتسامة خفيفة تطفو على زاويتي فمه، وقال: «لا.. أريدك.. لكن قد تغيّرين رأيك حينما تعرفين ما هي هذه الوظيفة، ولا أريد أن أشرح هذا بعد.. فهل تمانعين؟».

شعرت ليزي أنها في موقف لا يسمح لها أن تمانع، وقالت: «حسن جداً.. لا.. بالطبع لا..».

ماذا بحق السماء سيطلب منها أن تفعل؟ وعلت وجهها الريبة.. لكنها سرعان ما دفعتها عنها، رجل مثل تاي غيبسون لا يريد نساء. على أيّ حال، ونظراً للأسماء التي ظهرت مع اسمه، في صفحات الشائعات، هي ليست بالضبط من طرازه.. يبدو أنه يحب النساء السمراوات الغريبات الأطوار، وهي لا يمكن وصفها بهذا، فهي شقراء، وطبيعية، وطيبة جداً.

نظرت ليزي إلى قطرة ماء مثلجة تنحدر ببطء على كأسها من الخارج، وتنهدت.

قال تاي محاولاً التخفيف من تعابيرها: «أنا آسف لأن المسألة تبدو

لك غير معقولة. لكنك ستفهمين فيما بعد لماذا لا أريد أن أكشف كل أوراقي الآن».

توسلت: «ألا يمكن أن تقول شيئاً؟ على الأقل قل لي إذا ما كانت لها صلة بالعلاقات العامة!».

ـ أعتقد أن بإمكانك قول هذا.

ـ أوليس في شركة «جي سي أس» قسم علاقات عامة؟

قطب تاي وهو ينظر إلى كأسه، وقال: «لا علاقة لشركة جي سي أس بهذا الأمر».

ثم رفع عينيه لينظر إلى ليزي، مضيفاً: «المسألة متعلقة بي».

ـ فهمت.

لكنها لم تفهم شيئاً.

قال، ويده تسرح في شعره الأسود، بنوع من الأسى: «اسمعي.. دعينا نبدأ من جديد.. هل يمكن؟ ستتعامل مع هذه المقابلة وكأنها مقابلة عمل عادية، وسأشرح لك كل شيء فيما بعد».

ردت ليزي بشيء من الارتياح: «حسن جداً، مع أن معظم المقابلات العادية لا تجري حول عشاء كهذا!».

هز تاي كتفيه: «فكرت أننا لو شربنا شيئاً، وتناولنا العشاء معاً، فسأتمكن من معرفة المزيد عنك. ويمكننا أن نعود إلى المكتب لنجلس على طرفي الطاولة، إذا كنت تفضلين هذا».

ردت بسرعة: «لا.. لا.. هذا رائع!».

وضعت كأسها على الطاولة، واعتدلت، ثم مررت يدها على ثوبها، وهي تنظر إلى تاي وكأنها تتوقع شيئاً.

ـ أين تريدني أن أبدأ؟ بوظيفتي السابقة؟

ـ لا.. فأنا مهتم بشخصيتك أنت.

ـ لكنك تعرف كل هذا.

ـ حقاً؟ أنا أعرف أنك تربيت في الصحراء النائية، وأنك تعيشين الآن في المدينة. أعرف أنك اجتماعية جداً، وأن لك..

وصمت يفتش عن الكلمة المناسبة، ثم أضاف: «ذوق خاص.. في الأحذية، لكن هذا كل ما اعرفه.. ولا بد أن هناك أشياء أخرى كثيرة».

يا إلهي.. أجل.. لا شك أن هناك أكثر بكثير.. وأخذت تبحث في ذهنها عن شيء تقنعه به أنها شخصية مركبة ومثيرة للاهتمام. إنها اجتماعية، ومدينية، ومحبة للأحذية، هذا كله صحيح. لكن هذا يجعلها تبدو سطحية قليلاً.

قالت بضعف: «أحب القراءة».

ولو أنها في الواقع تفضل السينما، أو الخروج بعد الظهر للتسوق.

رأت على وجه تاي أنه لم يتأثر. وسألت بغضب: «حسن جداً.. وماذا تريد أن تعرف غير هذا؟».

قال مقترحاً بصوت جاف: «ماذا عن امرأة لها ميزاتك هذه، متلهفه لعمل ما، لا تأنف أن تتولى أي مهمة من دون أن تعرف ما هي.. أو ماذا يجب أن تفعل؟».

قالت تعترف، بعد صمت طويل: «الغلطة غلطتي.. لقد لزمني وقت طويل لأقرر ماذا يجب أن أفعل. حاولت كل أنواع العمل، لكنني انتهيت أخيراً إلى العلاقات العامة.. وكان هذا مناسباً لي، أحببت الحفلات والمؤسسات وال.. وال.. الضجيج».

ولوحت بيديها في محاولة لتصوير الإثارة في تلك الأيام.

ـ حصلت على عمل مع إحدى أهم الوكالات في بيرث.. ولفترة ما، كان كل شيء على ما يرام.. بل أكثر من هذا في الواقع. كان لي عمل عظيم، وحياة اجتماعية خيالية، وصديق رائع.. وخطبنا، وكانت لنا حفلات صاخبة.

ابتسمت بشيء من الحزن: «وظننت أنني حصلت على كل شيء».

- وما الذي حدث إذن؟ هل تبين لك أن الخطيب الرائع لم يكن رائعاً؟

هزت ليزي رأسها: «لا.. لا شيء كهذا».

ولمع شعرها الأشقر، وانحنت إلى الأمام لتلتقط كأسها مجدداً، وترتشف قليلاً من العصير، محاولة التفكير كيف يمكن أن تشرح لشخص مثل تاي ما الذي دفعها لتفعل ما فعلت.

قالت أخيراً: «لقد تزوجت صديقة قديمة لي.. وذهبت لأحضر الزفاف.. فرأت غراي وكلير معاً.. حسن جداً.. أعتقد أن هذا جعلني أدرك ما الذي أفتقده. ولست أدري كيف أشرح هذا بالضبط. لقد تمتعت بحياتي، لكن حياتهما كانت أكثر حيوية بطريقة ما.. وأدركت أنني أسيرة الروتين.. ليس مهنياً فقط، بل عاطفياً كذلك.. كان ستيفن رائعاً.. لكن، لم يكن بيننا ما وجده كلير وغاري.. خرجنا معاً لما يقارب السنة، واتجهنا بطريقة ما إلى فكرة الزواج. كنا صديقين جيدين، متآلفين. ولم يكن في حياة أيَ منا شخص آخر، وبدت الفكرة جيدة، لكن حين قارنت علاقتنا بعلاقة غاري وكلير عرفت أن هذا لا يكفي».

كان رأس ليزي منحنياً وهي تروي قصتها.. وواضح أنها كانت مستغرقة في رسم نماذج غريبة على ذراع مقعدها. لكنها رفعت نظرها لترى تاي يصغي إليها.

وأكملت: «حين عدت من حفل الزفاف، قلت لستيفن إنني لن أتزوجه».

- وكان هذا شديداً عليه، أليس كذلك؟

إذن، كان تاي يصغي إليها فعلاً، لكنه لم يتأثر. فعيناه الرماديتان بدتا حذرتين، باردتين.

عادت ليزي ترسم النماذج، وتتذكر كيف تحدثت إلى ستيفن تلك

الليلة: «لم يمانع ستيفن».

لو وقعت مشكلة بينهما لكان الأمر فظيعاً.. ولكنه على الأقل يعني أن ستيفن يهتم بها بما يكفي ليحملها على تغيير رأيها.. لكن، بدلاً من ذلك كان الحوار حضارياً. وأصغى إليها، موافقاً على أن فسخ الخطوبة أمر أفضل.

وتابعت: «أعتقد أنه كان مرتاحاً.. حقاً.. يبدو أنني امرأة لا يريد الرجل أكثر من صداقتها».

وتنهدت.

نظر تاي إليها عبر الطاولة.. يمكن أن تبدو يائسة.. لكن من الصعب أن تبدو كئيبة، فهناك خطوط مرحة حول فمها، وخطوط أخرى بدأت تشق مكانها حول عينيها الزرقاوين، برموشها الطويلة التي تعطي وجهها تعبيراً دافئاً، ومرحاً. كانت تروق للعين أكثر من الجمال العادي.

خفض تاي نظره إلى كتفيها العاريين، إلى بشرتها العاجية الملوّحة بوهج صيفي ذهبي، وشعرت بعينيه، فرفعت يدها لتدفع شعرها الحريري بعيداً عن وجهها، بحركة لا إرادية.. لكن شعرها رفض البقاء وراء أذنيها وعاد ليقع إلى الأمام مجدداً، ليداعب خديها بنعومة.

قال: «لن أقول أنا هذا».

وابتسم ابتسامة ماكرة جذابة، جعلت اللون الأحمر يتصاعد إلى خديها.

في أيَ سن ستتوقفين عن الاحمرار حين ينظر رجل إليك؟

تساءلت ليزي يائسة.. وهي تتجنب نظرته.. وأخذت جرعة كبيرة من العصير، وأعادت الكأس إلى الطاولة بحدة.

تابعت تقول: «أجل.. حسن جداً.. على أيَ حال، ما إن سويّت الأمور مع ستيفن، حتى أحسست أنني أفضل حالاً بكثير. لكنني عرفت

أنّ عليّ أن أفعل الشيء ذاته في عملي. لقد بقيت مع الوكالة زمناً طويلاً حتى أصبحت قديمة تافهة، وذهبت في اليوم التالي لأقدم استقالتي، بحركة متكبرة، قلت لهم إنني أحتاج إلى تحد جديد، وإنني سأنطلق وحيدة كمستشارة حرة».

ـ وهل فعلت هذا؟

ـ حاولت، لكن من دون جدوى. لم يكن هناك ما يكفي من عمل، ولم أستطع منافسة الوكالات.. لقد طفت جاهدة في كل مكتب في بيرث بحثاً عن زبون، لكنني لم أصل إلى نتيجة. وكنت على وشك الاستسلام حين التقيتك وذكرت لي العمل، وهذه آخر فرصة لي لأنجح لوحدي.

قال: «بدأت أفهم لماذا تحمستِ لأن أقبل بك».

زاد عمق لون ليزي. لم يقل شيئاً.. لكنها عرفت أنه يفكر بالطريقة التي عانقته فيها خلال العرس.. ورفعت ذقنها. لن يضيرها أن يعرف أنها عانقته لأنها كانت يائسة.

قالت: «لقد مضت علي أشهر طويلة من دون دخل منتظم. أعرف أن عليَّ أن أتدبر أمري، لكني لست بارعة اقتصادياً، وأنا غارقة حتى أذني بالديون».

وتنهدت: «كنت أعالج الأمور بشكل خاطىء.. وأعرف هذا الآن. كان يجب أن أنتظر حتى أقرر ماذا أريد أن أفعل، وأرتب وضعي الحالي، بدلاً من أن أتخلى عن وظيفة جيدة حقاً.. ثم أتساءل كيف سأتدبر أمري».

لدهشتها قال تاي: «لا أوافقك الرأي».

كانت ليزي على استعداد لسماع سخريته. لكن مساندته المفاجئة أصابتها بالدهشة. نظرت إليه بقلق، تتساءل عما إذا كان يسخر منها.

ـ أراهن أنك لن تفعل شيئاً بمثل هذه الحماقة!

قال بيرود: «أنا أؤمن أن على المرء أن يجاهد للحصول على ما يريد، ولن تحصلي على ما تريدين من دون مخاطرة. هل تظنين أنني كنت سأصل إلى ما أنا عليه الآن لو لعبت بأمان؟ منذ عشرين سنة غادرت منزل أبي ولم يكن معي شيء.. وشققت طريقي في سيدني ووجدت عملاً، ومكاناً أعيش فيه».

لم يبدُ عليه زهو الانتصار.. بل تقرير أمر واقع. ونظرت إليه ليزي بفضول، تحاول أن تتصوره شاباً صغيراً، يتلمس طريقه في المدينة الكبيرة، من دون عمل أو بيت. من تلك البداية التي لم تكن واعدة، بنى امبراطورية.. مجموعة واسعة امتدت حول العالم وأصبحت مثالاً للجودة والابتكار وجعلت من فكرتها عن التحدي، أمراً مثيراً للشفقة.

قال: «كل ما تحتاجين إليه هو الطموح. وإذا أردت الوصول، فيمكنك ذلك لكن لا بد أن يكون لديك طموح.. ألا ترين ذلك؟»

وهل لديها؟ وفكرت قليلاً بالأمر.

ـ أريد أن أكون جيدة في عملي.. طبعاً. لكنني لا أتحرق للنجاح. وإذا كان العمل يثير اهتمامي ويفي بمتطلباتي فلا أمانع. ليس لدي طموح كبير. ما أرغب به حقاً هو أن أتزوج، وتكون لي عائلة، كالمعتاد، أريد فقط أن أكون سعيدة.

لم يبدُ عليه أي تعبير ساخر.

وسألته فجأة: «وماذا عنك؟».

ـ أنا؟

ـ ما هي طموحاتك.. أم أنك حققتها؟

أعاد إبريق العصير إلى مكانه، لئلا تقرأ ليزي تعابير وجهه: «لا.. لدي طموح واحد بعد».

ـ وما هو؟

ـ أن أعيش في «باراكريك».

جمدت ليزي والعصير في طريقه إلى فمها.. ورددت بذهول: «تعيش في باراكريك؟ ولماذا؟».

رد تاي ببساطة: «لمجرد أن أكون هناك».

لو أراد أن يرقص في صحراء سمبسون، وهو يرتدي تنورة بالية وقبعة حمراء لما اعتبرت ليزي الأمر شاذاً. وضعت كأسها على الطاولة من دون أن تشرب، وحدقت به.

ـ لا يمكنك إدارة شركة بحجم جي سي أس من مزرعة مواشي في الصحراء النائية!

عارضها: «بلى.. أستطيع. فأنا لا أدير الشركة يوماً بيوم. لدي مدراء بأجور عاليه يفعلون هذا بدلاً عني.. كل ما أحتاج له أن أبقى على اتصال معهم، وأستطيع هذا من أي مكان. لدينا التكنولوجيا الآن.. والبريد الإلكتروني، الهاتف، اتصالات بالڤيديو، الفاكس.. ولا يوجد ما يحول دون أن تكون بارا قاعدة فاعلة مثلها مثل أي مكتب في سيدني».

سألت من دون فهم: «لكن، لماذا تريد هذا؟ لا يوجد شيء هناك! فكر بأماكن أخرى تستطيع أن تجد لك قاعدة فيها.. نيويورك، طوكيو، لندن، باريس، سيد..».

ورمت ذراعيها في الهواء وكأنها ترمي العالم عند قدميه: «أنت ثري جداً.. وتستطيع الذهاب إلى أي مكان، وأن تفعل أي شيء، لا أستطيع أن أصدق أنك تتخلى عن كل هذا لتعيش في الصحراء!».

قال: «عائلتك تعيش هناك».

ـ أجل.. لكن «هناك» هو كل ما يعرفونه.. لقد اعتادوا على أكل اللحم، واللحم، والمزيد من اللحم من دون أن يكون لديهم خيار السفر لتناول طعام ڤيتنامي، أو تايلاندي، أو يوناني إذا أرادوا. هم غير معتادين على ضجيج المدينة كما أنت معتاد. أعني.. الأدغال هناك

جميلة، لكنها هادئة جداً ولا شيء يحدث فيها! لا مطاعم، لا محلات، لا حياة ليلية، لا ناس، لا شيء.. مجرد كتل من الأراضي ذات الشجيرات الصغيرة، وقطعان مواشي.

ـ إذن، إذا شملت هذه الوظيفة قضاء وقت هناك، ألن ترغبي فيها؟

أفقدها السؤال توازنها. لقد نسيت الوظيفة لبرهة خلال ذهولها لإعلان تاي. لم تستطع أن تتصور لماذا يحتاج إلى مهاراتها في العلاقات العامة إذا كان سيدفن نفسه في الصحراء.. كان من الأفضل لو أنه قال لها هذا منذ البداية. وأحست بالامتعاض، عليها الآن أن تتراجع بسرعة.

قالت تؤكد له: «هذا لا يعني أنني لا أحب الأدغال.. لقد بقيت هناك لشهر كامل منذ مدة، أعتني بطفل في مزرعة أصدقاء. وكان ذلك أمراً رائعاً. انني أحب الذهاب إلى بيت أهلي ورؤية عائلتي.. لكن بعد قليل، يتملكني الحنين إلى المدينة، ولا أمانع في المساعدة، لكن هناك حدود لمدى الإثارة التي أشعر بها حول وضع مجموعة من المواشي في الزرائب.. حتى أنك لا تحصل على فترة راحة، لن تستطيع التسلل إلى مقهى لتشرب فنجان «كابتشينو» وأنت على بعد ساعة من أي طريق معبدة».

وأمسكت بنفسها بسرعة، لم تشأ أن تبدو كمن تئن من الشكوى.

ـ لكن بالطبع، سيكون العمل معك مختلفاً.. سيكون لي عمل خاص بي.. ولا أتصور أنك ستتحمل كل تلك المتاعب إذا كنت تريد مني المساعدة في خصي بضعة عجول؟

ابتسم ابتسامة خفيفة: «لا.. لا أريدك أن تفعلي هذا».

ـ حسن إذن.. أنا واثقة أن هذه لن تكون مشكلة، وبصراحة.. أنا لست في موقف أختار فيه مواقع العمل. وإذا كان العمل في الصحراء، فسأذهب إلى هناك.

وفكرت متجهمة: أين ذهب كل التفكير بمنهاتن؟ لماذا ينتهي بها

الأمر دائماً في الأدغال؟ مع ذلك.. لن يدوم هذا إلى الأبد.. ووجدت في ذلك بعض العزاء.. لقد سمّى تاي العمل بالمهمة المميزة. وعلى الأرجح أنه لن يحتاج إليها لأكثر من شهرين.

كان من الصعب أن تعرف ما إذا كانت قد أقنعته أم لا. فقد بدا مشغول الفكر، رأسه المنخفض، لا يسمح ليزي سوى برؤية القليل من وجهه. كان يمكنها رؤية شعره، الخط بين حاجبيه المشدودين معاً فوق أنفه القوي المظهر، قساوة عظام خديه، والرموش السوداء التي تحمي عينيه. كان هناك شيء من الحذر في الطريقة التي يتماسك فيها.. حملت نظرته كرجل عاش حياته وحيداً، تحفظاً فولاذياً، تمكن أن يثبط همتها ويثير الغموض في نفسها في الوقت ذاته.

ألقت ليزي نظرة على بذلته الجميلة، وقميصه الأنيق، وربطة عنقه وأظافره النظيفة. من المستحيل تصوره وهو متسخ يتصبب عرقاً، ويسعل من الغبار الذي قد يثيره ثور عادي وهو يصارعه ليرميه أرضاً.. إنه ينتمي إلى العالم القاسي للمدينة. وبالتأكيد لن يستطيع تحمل إقامة مكتب في منزل خاص به.. لكن ما الفائدة؟

سألت غير قادرة على إخفاء عدم التصديق في صوتها: «هل تفكر حقاً بالعيش في «باراكريك»؟».

ـ أجل.

ـ لكن.. لماذا؟

ـ لأنها موطني.

ورفع رأسه إليه، وكالعادة، ذهلت ليزي للمعان عينيه تحت رموشه السوداء.. وكأنها تلقت صدمة كهربائية.

وتابع: «منذ عشرين سنة، تمكنت من الذهاب إلى أي مكان في العالم.. ما عدا المكان الوحيد الذي أردت أن أكون فيه.. بارا. هناك ولدت، وكبرت.. والأرض هناك جزء مني».

وعادت عيناه إلى الطاولة، وهي بدورها، عادت لتتنفس من جديد.

وقال: «لقد عشت في نيويورك.. وذهبت إلى كل المدن التي ذكرتها، وأنا أشعر نحوها كما تشعرين أنت نحو الصحراء.. لا بأس بها لفترة قصيرة، لكنها ليست المكان الذي أريد أن أكون فيه.. كلها متشابهة، يمكنني الوقوف في أي مكتب لشركتي في أي مكان، فلا أرى، عندما أتطلع إلى الخارج سوى كتل من الاسمنت وسيارات. ليس هناك ما يكفي من السماء في المدينة، وأجلس في مكتبي أفكر برغبتي في أن أعود إلى بارا، أركب الجياد عبر التلال، أجمع الماشية، وأسبح في النهر الصغير..».

أزاح تاي كأسه فجأة إلى جانب واحد، وتراجع إلى الوراء في مقعده.. النظرة التي أرسلها إلى ليزي كانت نصف خجولة ونصف متحدية، وكأنه خائف من أن يكون قد صرّح لها بالكثير.

نظرت إليه بارتباك. كان في صوته وهو يتكلم عن بارا شيء لم تسمعه من قبل. من كان يظن أن تاي غيبسون يمكن أن يشعر هكذا؟ تاي الرأسمالي المثالي، بعينيه الحادتين، وفمه المتصلب.. ولو سئلت ليزي لقالت من دون تردد أن كل ما يهمه هو جني المال، لكن الأمر الآن يبدو أنها مخطئة.

سألت محتارة: «ولماذا انتظرت حتى الآن؟ كان بإمكانك أن تشتري مئة مزرعة».

قال بصراحة: «لا أريد مزرعة أخرى.. أريد بارا فقط».

ـ لكن إذا كانت مثل هذه المشاعر القوية تتملكك، فلماذا غادرت؟

واكفهر وجهه: «كان عليّ أن أرحل.. وما إن ذهبت حتى منعني والدي من العودة».

كانت عيناه الرماديتان تضجان مرارة وهما تلتقيان بعيني ليزي: «أجل.. فرانك غيبسون العجوز الطيب الذي قيل إن قلبه تحطم

برحيلي! الناس في ماتيسون يحترمونه، أليس كذلك؟ إنهم يعتقدون أنه كان رجلاً رائعاً وشريفاً، صارماً ومنصفاً».

وأخذ يقلد ساخراً الطريقة التي يمكن للناس أن يتكلموا بها عنه: «لم يكن رجلاً سهلاً. . أليس كذلك؟».

تململت ليزي بقلق في مقعدها: «تقريباً».

هز تاي رأسه متجهماً: «إنهم لم يشاهدوا سوى جانب واحد منه. . والدي كان مستبداً، جعل من حياة أمي جحيماً، واعتقد أنها تخونه، صبَّ كل حقده عليَّ، كنت يومها في السابعة وصمم على أن يسيطر عليَّ، بعد أن فشل مع أمي. رفض أن تكون لها صلة بي أبداً. . وأخذ يملي علي ما آكل، وما ألبس، وما أفعل في كل دقيقة من اليوم».

كانت ليزي تصغي بانكار تام، متأثرة بما لم يقله أكثر مما قاله. إشارته العابرة لرحيل أمه، هجرانها لولد صغير، وتركه في عهدة أب مستبد. . هل من أصدر أحكامه على تاي كمثير للشغب، توقف يوماً ليسأل كيف كانت طفولته، وهو وحيد تعيس، لا أحد يواسيه أو يربت على رأسه اشفاقاً؟

أحست أن أظافرها تحفر في كفيها، وأجبرت نفسها أن تفتح قبضتيها. وتمنت لو تستطيع أن تقول له كم تشعر بالأسى على ذلك الطفل الصغير، لكنها أحست أن تاي لم يكن من النوع الذي يريد الإشفاق عليه.

سألت: «وكيف تدبرت أمرك؟».

التوى فم تاي للذكرى: «تمردت. . كنت أبحث عن المشاكل. وإذا لم أجدها، أخترعها. . وكانت ردة فعل أبي محاولة كبتي أكثر فأكثر. . وزاد هذا الأمور سوءاً. وكان محتماً أن تنتهي بشكل سيء».

سألت ليزي مترددة: «وماذا حدث؟».

هز تاي كتفيه: «حدث بيننا شجار عادي. . ولا أستطيع الآن أن

أتذكر كيف بدأ، لكنه انقلب إلى شجار عنيف بسرعة. قلت له إنني تحملت منه ما فيه الكفاية وإنني أريد الابتعاد قليلاً، لكنه رفض الفكرة على الفور. وقال إن لديه «خططاً» لي».

ـ أي نوع من الخطط؟

ـ من النوع الذي يمكّنه من أن يبقيني وبارا تحت سيطرته. كان يريدني أن أستقر، وأتزوج من فتاة مناسبة، ويكون لي ابن يرث بارا.

ودار رأس ليزي وهي تحاول تصور المشهد: «وماذا قلت له؟».

ـ ضحكت في وجهه. كنت في العشرين من عمري، بحق الله. قلت له إنني حتى ولو كنت أكبر من هذا بعشر سنوات، وبوجوده كمثل سيء للزوج والأب، فما من طريقة تجعلني أتزوج وأنجب أولاداً!

ـ ولا أعتقد أن هذا أعجبه كثيراً.

نظر تاي إليها، وقال ساخراً: «هذه إحدى الطرق لوصف الأمر. . ولم أره غاضباً مثل ذلك اليوم. لقد عرف أن الموقف حاسم. بالنسبة له الاستسلام أو التنازل يعني التخلي عن سلطته. ولم يكن مستعداً لهذا، ولم يعتقد أنه سيضطر. . كان يعرف شعوري نحو بارا، فلعب بما ظن أنه ورقته الرابحة. قال لي إنني إذا رحلت، فلن أتمكن من أن أعود أبداً. يمكنني أن أذهب، لكن بالنسبة له، لن أعود ابنه، ولو وضعت قدمي مرة أخرى في بارا، سيقابلني ببندقية صيد، ويطلق النار علي وكأنني غراب».

وماذا يمكن أن تقول لشخص قال له أبوه شيئاً كهذا؟ عضت ليزي شفتها، وأطرقت تنظر إلى يديها، وتتمتم: «أنا آسفة».

رفع تاي كتفيه بهزة خفيفة، وكأنما يعترف بعدم ملائمة ردها.

ـ بطريقة ما، كان إنذار أبي النهائي، أمراً جيداً. ولو كانت الأمور مختلفة لبقيت في بارا طوال حياتي، وما كنت فعلت أو رأيت أي شيء آخر، لكنني اخترت الحرية والاستقلال. كانت بارا هي الثمن الذي

دفعته.. ورحلت في اليوم التالي.

وكيف جرت الأمور معه؟ في سن العشرين طرده والده، أجبره على شق طريقه وحده في عالم بعيد عن المكان الذي أحبه، ولا عجب إذا تعلم أن يكون حريصاً.

ـ ولم تعد أبداً؟

هز تاي رأسه: «عدت في الأسبوع الماضي، حين جئت إلى حفل زفاف شقيقتك، وكانت المرة الأولى التي أعود فيها إلى بارا كريك منذ ما يقارب العشرين سنة».

رفع نظره إلى ليزي.. الإحساس المرتسم في عينيه الرماديتين أعطاها فكرة عما كانت عليه تلك السنوات.. وأكمل: «أشعر وكأنني قضيت كل تلك السنوات في المنفى، وأنا لا أبحث عن الشفقة. لقد نجحت تماماً في تلك السنوات. وبنيت شركة ناجحة وجنيت كل المال الذي أحتاج إليه، طموحي الوحيد الآن، أن أعود إلى موطني».

لم تستطع ليزي أن تتصور نفسها عاجزة عن العودة إلى موطنها متى أرادت.. وقد تتذمر من حياة أبويها في الصحراء، لكنها متأكدة تماماً أنهما سيرحبان بها دائماً حين تحتاج إليهما.. وفي أكثر من مناسبة، حينما شعرت بالضيق، وجدت نفسها تعود إلى المنزل القديم حيث ولدت وترعرعت. وحيث نمط الحياة العائلية المألوفة.

قالت، تحاول إضفاء جو من البهجة: «على الأقل، أنت تعرف أنك ستحقق طموحك. وهذا أكثر مما أستطيع أن أقوله! بارا أصبحت الآن لك.. وتستطيع العودة متى شئت».

وافق تاي بعد لحظة صمت: «أجل».

لكن، كان في صوته شيء لم تفهمه ليزي. وتساءلت عن سبب التجهم على فمه، ففتشت عن شيء تقوله لكسر الصمت الذي طال: «ألست خائفاً من أن تبقى وحيداً؟».

ـ وحيداً؟

وبدا أنه لا يفهم معنى الكلمة، فقالت: «بارا مكان كبير.. ورجل وحيد قد يشعر أنه ضائع هناك».

قال: «ما زال هناك الرعاة، وسيكون هناك موظفون من شقتي في سيدني.. ولقد أرسلت فريقاً لتحضير المنزل».

حاولت ليزي تصوّر تاي يجلس هناك بين راع صارم وموظف من سيدني.. لكنها فشلت.. وقالت تستبقي حساباتها لنفسها: «عظيم».

مال تاي إلى الأمام ينظر إلى وجهها وقال: «ثم.. ستكونين أنت موجودة».

وجدت ليزي أن نظرتها المتوترة الحائرة أنعكست في عينيه. وقرأت فيهما تعبيراً لم تستطع فهمه، لكنهما لم تكونا باردتين، أبداً.

ولم تستطع سوى أن تنظر بعيداً.. بينما راحت نبضاتها تضج في أذنيها، وأحاسيسها ترتجف في داخلها.

وأضاف تاي بنعومة: «أرجو هذا».

ثم، ودونما إنصاف.. ابتسم.

كانت ابتسامة كالتي رأتها يوم زفاف إيلي.. الابتسامة التي أزالت التجهم عن وجهه، الابتسامة التي رسمها عند الباب. وما تزال أحاسيسها تشتعل من حر ناره.. بيأس، حاولت مقاومة جاذبيته، وإبطال سحرها القوي.

كانت الابتسامة تنير عينيه وتدفىء زوايا وجهه! بدت أسنانه قوية وبيضاء بشكل خاص في وجهه الأسمر. لكن ما الذي جعل ما حولهما ملتهباً إلى هذا الحد، وزاد خفقات قلبها، وتشابك المشاعر في داخلها؟

تمكنت من أن تتنفس.. لم يكن هذا صعباً.. أليس كذلك؟

وقالت بضعف: «صحيح»!

***

٤ ـ الهدف: أنت!

كانت سيارة الليموزين تنتظرهما خارج الفندق. ومع خروج ليزي وتاي من المدخل، تحرك السائق، وفتح لهما الباب. شعرت بالزهو وهي تدخل السيارة. لم تكن قد ارتادت مكاناً فخماً كالمطعم الذي اختاره، مع أنها قرأت عن أمثاله في المجلات الفخمة التي تتصفحها أحياناً.

اجتاحها شعور غريب، وهي ترى الرؤوس تستدير لتنظر إليهما وهما يمران. إن رفض تاي للمقابلات الصحفية يعني أن صورته لا تظهر في الصحف كثيراً، وعلى الأرجح فإن قلة من الناس أدركت من هو.. لكن، وكما تعرف ليزي جيداً، هو رجل يلفت الأنظار.

إنه يمتلك جاذبية خاصة. هالة قوية متفجرة تجذب العيون.. سار في المطعم كفهد صياد.. ليّناً محتالاً، معتداً بنفسه.

على أيّ حال، فإن ليزي يروق لها مثل هذا الاهتمام.. ولطالما حلمت بأمسية كهذه.

وفكرت أن هذا كله ليس عدلاً. إنها تستحق مثل هذه الحياة. لكنها الآن، غير قادرة على التفكير سوى بتاي وهو يبتسم.. ابتسامته تجعلها تقشعر.

حاولت ليزي أن تركز على لائحة الطعام التي أمامها.. لكن عينيها بقيتا تسترقان النظر إليه. ما الذي يجعله جذاباً هكذا؟ إنه لا يفعل شيئاً

ليجذب الانتباه إليه، بل على العكس تماماً. إنه رجل غامض.

وتساءلت عمّا يفكر فيه الآخرون، وهم يتفحصون وجهه الصارم وأساريره الحادة، وفمه الذي يبتسم بشكل مدمر تارة، ويتجهم بعبوس تارة أخرى.

لو كانت تجلس على طاولة أخرى في المطعم، لصنفّته على الأرجح كرجل أعمال لا يرحم. ولما استطاعت أن تخمن طفولته الكئيبة، وأحاسيسه المتدفقة نحو الأرض التي خسرها لزمن طويل.. ولكتبت عنه أنه متعجرف لا يعرف الدعابة، ولم تتمكن من رؤية ما يكمن تحت هذه الواجهة القاسية من تفاصيل. ولما عرفت كيف أن ابتسامته تستطيع أن تحوله، بسرعة، ومن دون توقع، إلى شخص مختلف تماماً.

ـ هل أنت مستعدة لطلب العشاء؟

قطع عليها تاي أفكارها، فاصطبغت وجنتاها حمرةً، وتلعثمت قائلة: «آه.. ليس.. بعد».

ودفنت رأسها مجدداً في لائحة الطعام، وتراقصت الكلمات أمام عينيها، واختلطت مع ظلال وجهه الداكن المتمرد. كان حاجباه يرتفعان قليلاً، وهو يتأمل نظراتها المحمومة.

يجب أن تتماسك! واحمرت وجنتاها عندما تساءلت كيف تبدو أمام الآخرين. لا بد أنّ من يطيل النظر إليها، يعتقد أنها على موعد مع تاي. لكنها أكثر فطنة من هذا.. أليس كذلك؟

للحظة قصيرة، سمحت ليزي لنفسها أن تتساءل عما سيكون عليه الحال لو كان هذا موعداً غرامياً.. وإن كان تاي يجدها جذابة ويريدها قربه.. ثم سخرت من ذلك، فهذه ليست فكرة مقنعة منذ البداية. ولن تتآلف فتاة عادية مثلها مع هذا الوضع.

إنه ليس مهتماً بعينيها الزرقاوين، يريد فقط أن يعرف كم هي مناسبة لعمله الغامض.. وقد يكون المكان رومانسياً، لكن المناسبة لا

تزال مقابلة عمل، ومن الأفضل ألاّ تنسى هذا.

وظهرت الأطباق ثم اختفت من أمامها. . وبدا لها الطعام مهيباً. لكنها فيما بعد لم تذكر ماذا أكلت أو ماذا قيل. وتكلم تاي، وافترضت أنها ردت. . ولكن لم يتبق في ذاكرتها شيء من كل هذا.

شعرت وكأنهما شخصيتان منفصلتان. . الأولى تأكل وتشرب وتتكلم، والثانية لا تعي سوى النبضات في حنجرة تاي، وخطوط فمه. كان هناك اضطراب دائم في أعماقها، يزداد ويزداد كثافة. . إلى أن بدأت ليزي الأولى، المشرقة، المتحدثة، تبتسم وتضحك وتدعي أن الطعام لذيذ، وتتلعثم. . وما إن تبدأ جملة ما، حتى تجد نفسها عالقة وسط جملة وعيناها مركزتان على فم تاي ويديه. . فيبدأ الضجيج الذي لا يتوقف في أذنيها، وتفقد اندفاعها، وتجتاحها ذكرى عناقه.

أحست بالارتياح حين طلب تاي الحساب. في الخارج، أخذت ليزي نفساً عميقاً، ثم هزت رأسها في حين دس تاي بطاقة اعتماده في جيب سترته، ثم نظر إليها: «هل أنت بخير».

ـ أجل. . أجل. . أنا بخير.

لكن الهواء المنعش لم يكن له تأثير كبير. وأخذت عينا ليزي تدوران بذعر حولها . . نظرت إلى أي مكان عدا وجه تاي، وقالت يائسة في محاولة لشرح تصرفها الغريب: «كنت أفكر كم أن هذه الليلة جميلة».

رفع تاي رأسه إلى السماء فقالت مكملة: «إنها لا تمطر».

وكان في صوته شيء من الدعابة حين قال:

ـ هل نسير قليلاً؟

ابتلعت ليزي ريقها: «حسن جداً».

وهو يستدير، وقعت عيناه على حذائها، فقطب لرؤية الريش والكعبين الرفيعين: «هل ستتمكنين من السير على هذين؟ ربما من

الأفضل أن نركب السيارة».

ردت ليزي بسرعة زائدة: «لا . . لا بأس بهما . . أحب أن أسير».

لعل صعودها في السيارة يعني نهاية الأمسية، وراقبت ليزي تاي وهو يتوجه إلى الليموزين ليأمر السائق بالانتظار. . وأحست بشيء صلب بارد مثل الحجر يستقر في معدتها.

أوه ليزي! وتنهدت ضارعة، لا تكوني حمقاء!

كان عليها أن تعود إلى الفندق مباشرة. . لتمنت لتاي ليلة سعيدة، وأغلقت على نفسها غرفتها، وتذكرت كل الأسباب لئلا تعجب به. كان يجب إنها تقول له أنها جاءت فقط للبحث عن عمل. . . وبما أنه لا يريد أن يفضي إليها بشيء، كما يبدو، فمن الأفضل أن تعود إلى ديارها. . وفوراً.

وماذا فعلت بدلاً من هذا كله؟ لقد اقتنصت فرصة السير معه في الظلام، حيث ما من شيء، أو أحد، لتذكيرها بالحقيقة القاسية.

هذه مقابلة عمل، مقابلة عمل. . مقابلة عمل، وأخذت ليزي تردد هذا لنفسها وهي تسير إلى جانب تاي. . وتلوت يداها بالرغبة لملامسته، لإيقافه، لجعله يستدير نحوها فتستند إلى ذراعيه وكتفيه، وتدني رأسه من رأسها. . وخشيت أن تمتدا وحدهما، فكتفت ذراعيها، ونظرت إلى الأمام بثبات.

تسارعت نبضات قلبها، حتى اجتاحت أعضاءها كلها، ودارت الدماء بسرعة في شرايينها، وأحست كأنها أصيبت بالحمى.

راق لها هذا الاحتمال. . وربما هي محمومة. . فعلاً، لعلها مريضة، لكنها لم تتوقف لتطلب العودة إلى الفندق.

سارا بصمت. . وكان تاي مستغرقاً في أفكاره، ويداه قابعتان في جيبي بنطلونه. أما كتفاه فقد انحنتا قليلاً إلى الأمام. . وبدأت ليزي تتساءل عما إذا نسي أنها معه، لكنه توقف ونظر إليها.

ـ كيف حال قدميك؟

ـ قدماي؟

ـ لم يبدُ لي حذاءك مريحاً.

نظرت إلى الأسفل، حقاً كان يجب أن تعرج وتتوجع من الألم في أصابعها، لكن وبطريقة ما، بدت قدماها آخر ما يشغل بالها..

ـ لا.. إنهما بخير.

ساد الصمت مجدداً.. وأخذا يسيران على طول طريق الميناء. واستدارا معاً ليستندا على السور، وأخذا ينظران إلى تلألؤ الأنوار فوق صفحة الماء.

كان الجسر الشهير يرتفع فوقهما.. إنها في إحدى أجمل المدن وأكثرها إثارة في العالم، لكنها أحست بما يشبه القنوط.. وكل ما استطاعت أن تفكر به، هو الرجل الذي إلى جانبها!

ولم يكونا وحيدين.. لكن، بدا أن ليزي وتاي عالقان في فقاعة تفصلهما عن العالم بحاجز غير مرئي.

وطال الصمت بشكل يثير الأعصاب. ونظرا إلى بعضهما، ثم أشاحا النظر.. وضغطت ليزي كفيها على الحجر الخشن وكأنها تسند نفسها إلى شيء ثابت. وأخذت نظراتها تتجه جانبياً لتستقر بشوق على خطوط خده القوي المثير، وحافة فمه.

لم يكن وسيماً.. فكرت ليزي بهذا بنوع من اليأس، حتى أنه لا يعجبها كثيراً. إنه بارد، قاسٍ، ومعتد بنفسه بشكل مرير.. كان يجب أن تشفق عليه أكثر لمعرفتها بقصته، لكن هذا لا يجعله أكثر دفئاً، ولا يحيله إلى كائن وديع.. ومن غير المحتمل أن يصبح تاي لطيفاً، أو مراعياً لشعور الآخرين.. حتى ولا مرحاً.

إذن.. لمَ هذا الشعور؟ متململة متهورة، يجتاحها شوق فظيع هائج، لمجرد التفكير بعناقه.

ومن دون سابق إنذار، أدار تاي رأسه، وقفز قلب ليزي بقوة وهي تجد نفسها عالقة بعينيه.

قال: «أنت صامتة جداً.. بماذا تفكرين؟».

أفكر كيف يمكن أن أشعر وأنا أعانقك.. عناقاً حقيقاً حاراً.

قالت بصوت مرتفع غير ثابت: «أوه.. لا شيء.. أنا صامتة فقط لأنني لم أرغب في مقاطعة أفكارك، ظننت أنك تفكر».

ـ كنت أفكر.

ـ تفكر بماذا؟

ـ بك.

تسرب الهواء من رئتي ليزي عندما استوى واقفاً من دون تفكير، وقفت بدورها، إلى أن أصبحا في مواجهة بعضهما.. وشعرت بتيار خفي يصلهما ببعضهما البعض.

أخذت نبضات قلب ليزي ترعد في أذنيها، وسألت بصعوبة: «تفكر في ما إذا كنت قادراً على الثقة بي؟».

نظر إلى وجهها: «من بين أمور أخرى».

اتسعت عيناها وزادتا عتمة.. فمد إصبعه بهدوء، ومرره على خدها حتى زاوية فمها، وقال بنعومة: «أعتقد أنني أستطيع الثقة بك».

تطلعت ليزي إليه بغباء.. وقلبها يضطرم داخل ضلوعها.

وأكمل: «ألا أستطيع؟».

هزت رأسها إيجاباً.

وزاد عمق صوته وانخفضت عيناه إلى شفتيها: «أتريدين أن تعرفي بماذا كنت أفكر أيضاً؟».

همست، بالكاد تعي ما تقول: «بماذا؟».

أمسك وجهها بين يديه بلطف، وقال مبتسماً: «في هذا».

وضمها إليه..

واجتاحتها موجة ارتياح وترقب. . وأغمضت عينيها. وفي لحظة دار العالم حولها، ولم تعد قادرة على المقاومة، حتى لو كانت راغبة في ذلك. لكنها استندت إليه، تجاوزت حدود التعقل، ولم تعد تفكر بأي شيء عدا هذه اللحظة. إنها تعانقه، كما حلمت بذلك طيلة الأمسية.

وضمها تاي. . ضمة حقيقية. . كما حلمت عندما استندا إلى الجدار. لكنها كانت أجمل من أي حلم، ومثل أي صدمة كهربائية مثيرة. وجاء ردها عنيفاً، فأحست بالخوف، ولم تعد تشعر بالأرض تحت قدميها، ولا بالجسر، ولا دار الأوبرا. . واختفى الميناء، وتلاشى كل شيء من حولها فانجرفت في دوامة صاخبة من الإثارة. ولم تعد تشعر سوى بيديه تشدانها إليه. في لهفة وجموح.

شهقت ليزي بنفس مقطوع، فأبعد رأسه عنها، ومرر إصبعه على خدها. . ورفعت رأسها وهي ترتجف ولهاً.

تمتمت تسأل: «هل. . هذا. . جزء من مقابلة العمل؟».

وكانت متأكدة أنه سينكر هذا، ويبتسم ساخراً. . وأنه سيضمها مجدداً ليقنعها أنه يريدها كما تريده.

لكن تاي لم يبتسم، بل جمد فجأة، وتصلب جسمه، فتملّك الارتباك جسد ليزي.

ابتعدت عنه قليلاً لتنظر إليه: «هل هي. . . ؟».

قال معترفاً: «بطريقة ما».

وسقطت ذراعا ليزي، وتراجعت عنه إلى أن انكأت على الجدار، واستطاعت أن تتهيأ لتلقي موجة الإذلال الغامرة التي تحطمت فوقها. بماذا كان يفكر وهو يعانقها؟ هل كان دماغه يترقب استجابتها فحسب، متسلياً بمشاعرها، أو يقيّم ردة فعلها عن بعد، وينتظر إلى أي مدى ستصل؟

أحست ليزي بالغثيان. . كيف يمكن لها أن تنسى من هو تاي؟ هل ظنت فعلاً أنه سيفقد سيطرته على نفسه، وعلى الموقف بمثل هذه السهولة؟ إنه رجل يعرف دائماً، ماذا يفعل. . ولماذا.

قالت بصوت بارد: «أعتقد أنه من الأفضل أن تقول لي بالضبط، لماذا تريدني».

ـ أحتاج إلى زوجة.

ساد صمت طويل. . طويل.

ثم قالت ليزي أخيراً: «ماذا؟».

ـ سمعتني.

بللت شفتيها: «هل تطلب مني أن أتزوجك؟».

وكان صوتها مرتجفاً غير مصدق، وابتسم تاي قليلاً، لكن دونما دعابة: «يبدو أنني لا أفعل هذا جيداً. . لكنني أعتقد أن هذا ما أطلبه».

ضغطت ليزي يديها على خديها، وحاولت تهدئة رأسها ليكف عن الدوران. أحست أنها خارج الزمان والمكان، لكنها كانت لا تزال غارقة في النشوة، على الرغم من الصفعة المريرة التي تلقتها على وجهها. . وأخذت تفكر في إعلان تاي الذي لا يصدق.

قالت متلعثمة: «لكنك. . لا تريد أن تتزوج».

ألم يقل هذا؟ ألم يقف في عرس إيلي ليسخر من الفكرة؟ أم أن هذا حدث في كون آخر مختلف عن ذاك الذي وجدت نفسها فيه الآن؟

قال تاي: «أريد الزواج الآن، يجب أن أتزوج قبل أن أبلغ سن الأربعين. . ولم يتبق على ذلك سوى شهرين من الآن».

هبطت يدا ليزي عن رأسها. . لكن دماغها كان لا يزال يدور بجنون، أخيراً تمكنت من أن تقول وهي لا تزال تتأوه.

ـ أنت. . تمزح.

هز رأسه نفياً، وارتسمت على فمه ابتسامة مريرة: «أتمنى هذا».

أخذ ينظر إلى يديه، وكأنما يسأل نفسه ماذا يفعل بهما، ثم دسهما في جيبه، واستدار ليواجه الميناء.

ـ لقد ترك لي والدي «باراكريك»، لكن بشرط واحد.. ستكون لي، فقط لو تزوجت. ويجب أن تكون زوجتي أسترالية، مولودة ومترعرعة في الصحراء النائية.

حدقت ليزي به، وقالت محتجّة: «لكن، هذا غير قانوني!».

ـ وهل تظنين أنني لم أستنفر القسم القانوني في شركتي للتفتيش عن أي ثغرة في الوصية؟ الأمر قانوني.. لو أردت باراكريك، يجب أن أجد لنفسي زوجة.

ـ وهذه هي الوظيفة؟ أن أتزوجك؟

ـ أجل.

انتابت ليزي نوبة غضب، بعد أن أصيبت بالانهيار. واستندت إلى الجدار وهي ترتعش. كانت هناك دفعه من «الأدرينالين» تتدفق في جسدها، فتصيبها بالسخط تارة، والانتعاش تارة أخرى. وأخذت تواجه تاي بعينين متوهجتين.

ـ إذن.. هذه الليلة.. الليموزين، العشاء، كان كله بسبب هذا؟

وارتجف صوتها، لكن هذه المرة غضباً، لا يأساً.

ـ أنت بحاجة إلى من تتزوجك، واخترتني أنا؟ المسكينة ليزي واكر في الثلاثين.. ولا تزال عزباء! لا بد أنها يائسة! هل هذا ما فكرت به؟

قال: «لا».

لكنها لم تسمعه.

ـ أراهن أنك ظننت الأمر سهلاً، كل ما عليك أن تفعله للتأثير عليّ، شيء من الرفاهية.. يلزمك الكثير لتقنع فتاة ريفية مثلي.. أليس كذلك؟ قليل من الفخامة، سيارة مع سائق، لتجعلني أتشبث بفكرة

الزواج منك!

بدأ تاي يقول بصوت متوتر: «لم يكن الأمر كذلك».

لكن ليزي كانت أكثر غضباً من أن تستمع إليه. ومضت تتساءل: «وهذا العناق؟ لمَ حصل؟ لمزيد من الضمان، إذا لم يوصلك المال، إلى نتيجة؟ أم أنك ظننت أنني يائسة جداً، لأقع بين ذراعي أول رجل يبدي لي قليلاً من الاهتمام؟ بالنسبة لموعد رخيص مثلي، كان بالإمكان أن تتغاضى عن كل تلك النفقات، وتتجه رأساً إلى عشٍ للغرام! هل هذا ما كنت تفكر فيه؟».

صاح تاي في وجهها: «لا!».

وحاول تهدئة الموقف، وهتف بصوت منخفض: «لا.. لم أكن أفكر بهذا وأنا أعانقك».

ورأت ليزي نظرات المارة إليهما. فأخفضت صوتها، لكن وجهها بقي متوتراً: «بمَ كنت تفكر إذن؟».

ـ لم أكن أفكر بشيء.. هذه هي المشكلة!

حدقا ببعضهما.. فأخذ العداء الصارخ يتلاشى شيئاً فشيئاً.. ليحل مكانه التفكير بلحظات العناق. لقد اضاءت تلك اللحظات ما بينهما، بقدر ما كانت مثيرة للاضطراب والأسى. وتلاشى غضبها بأسرع مما كان، ليتركها في فراغ.. لعل عناقه محسوباً.. لكنها تكاد تقع في حبائله.

تمتمت: «لا أصدق هذا!».

وأدارت وجهها بعيداً.

تنهد تاي، ومرر أصابعه في شعره: «اسمعي.. أنا آسف.. لقد تصرفت بطريقة خاطئة.. فهلا تركتني أشرح لك؟».

ـ لا أظن أنني أريد أن أسمع.

قال بعد تردد: «قلت إن بإمكاني أن أثق بك.. أرجوك ليزي؟».

تاي غيبسون يتوسل؟ انقلبت الموازين. . «أرجوك» ليست الكلمة التي يستخدمها دائماً.

كان جسمها لا يزال يرتجف من ردة الفعل، وعيناها تحترقان بدموع الذل. إنها لا تريد أن تصغي لشرح تاي، لماذا جعل منها بلهاء هكذا. . لكن ذلك الغضب الساخط، تلاشى الآن. . ونظرت إليه. . كان يراقبها بفزع، ولكن شيئاً ما في عينيه جعلها تخفض رأسها.

وقالت بإحساس متخدر: «حسن جداً».

أطلق تاي أنفاسه: «أنا لا أعرف ماذا تشعرين الآن. لكنني بحاجة إلى شيء أشربه. . دعينا نذهب لنجلس في مكان ما».

أمسك ذراعها وقادها إلى مقهى كانا قد مرا به. . وتركته يجلسها إلى طاولة في زاوية هادئة. . وهي متعبة ومرتبكة. جلست تنتظر إلى أن عاد ووضع فنجان قهوة أمامها: «اشربي هذا».

وشربته رغم سخونته. . ولم تعد تشعر أنها تتأرجح على حافة الهستيريا.

ـ أفضل حالاً؟

هزت رأسها، وتمكنت من أن تبتسم قليلاً: «أجل».

جلس تاي إلى جانبها يحرك قهوته، وبدا واضحاً أنه ينتقي كلماته بحذر.

ـ على عكس الاعتقاد الشائع. . أنا لم أتخلَ عن أبي. . أو عن بارا. . من وقت إلى آخر، كنت أتصل به. . لكنه اعتاد أن يقفل الخط عند سماع صوتي. وبعد مدة، أعترف، أنني استسلمت، وانتقلت إلى أميركا وانشغلت بأعمالي. . لكنني منذ سنوات قليلة، حاولت مجدداً.

«كنت أعرف أن أبي يكبر في السن، وأنه سيحتاج إلى من يساعده في إدارة المزرعة، وهكذا كتبت إليه، أقترح أن أعود وأحمل عنه بعض المسؤوليات. . لكنه لم يرد، بل حصلت على رسالة من محاميه، قال

فيها إن والدي قد أوضح موقفه، وليس مستعداً لمناقشة المسألة أكثر من هذا. . بكلمات أخرى، أستطيع العودة إلى البيت فقط لو وافقت على الزواج، ولم أكن يومها على استعداد لهذا.

نظر تاي إلى ليزي. . كانت تبدو مصدومة، لكنها على الأقل، تصغي إليه.

ـ أعرف أن هذا سيبدو لك قاسياً، لكنني في تلك المرحلة تخليت عن الفكرة. . وقلت لنفسي إنني يجب أن أنتظر إلى أن يموت ثم أعود إلى البيت. وكانت بارا هي الشيء الوحيد المشترك بيني وبين أبي. . ولم أشك في أنه لن يتركها لأي إنسان غير ابنه.

ثم ضحك بخبث: «كان يجب أن أكون أكثر فطنة! فلقد كان لأبي خطته. . انتظر طويلاً لينفذ ما يريد. أرادني أن أتزوج، وأن تمر بارا إلى الجيل الجديد من عائلة غيبسون. . لذا وضع تلك الفقرة من وصيته. . أستطيع أن أحصل على بارا، لكن إذا فعلت ما أراد مني أن أفعل، ولزمن طويل».

صمت قليلاً، ثم أكمل بمرارة: «لقد كان دقيقاً جداً. . يجب أن أتزوج قبل بلوغي الأربعين، ولا أستطيع اختيار من أريد. أمي كانت إنكليزية، من سكان المدن، زواجهما لم يكن ناجحاً، ولم يعد أبي يسمح لامرأة مثلها أن تعيش في بارا. لهذا أصر على أن أتزوج فتاة من الصحراء. . امرأة من النوع الذي يظنه مناسباً لإنجاب أولاد غيبسون وتربيتهم. . وعلى المحامين أن يتأكدوا أن زوجتي تفي بالشروط، قبل أن تصبح بارا قانونياً لي».

قالت ليزي بعجز: «لا أصدق أن أباً قد يفعل شيئاً كهذا».

ـ أنا أصدق. . كانت وصيته آخر فرصة له لينتقم مني. لقد رفض السماح لي بالعودة إلى بارا، لعشرين سنة. لكن هذا لم ينجح، وكانت بارا آخر ورقة رابحة مخبأة في كمه. كان يعرف كم تعني لي، وأنها

الشيء الوحيد الذي سيجبرني على أن أفعل ما يريد.

ابتسم متجهماً: «أراهن أن أبي تمتع بوضع ذلك البند في الوصية، لأنه يعرف أنني سأفعل المستحيل لتكون بارا لي في النهاية.. ولا بد أنه اعتقد أنه توصل إلى الطريقة المثلى للسيطرة علي.. حتى ولو لم يشهد خضوعي لأوامره!».

سألت: «وماذا سيحدث إن لم تتزوج؟».

ـ تذهب بارا إلى قريب لي.. ابن عم لأبي.. ولقد اختاره أبي لأنه «غيبسون»، وراهن على أنني لن أدع الأمر يصل إلى هذا الحد. أنا لا أعرف شيئاً عن بول غيبسون هذا، غير أنه يعيش في بريزبن ولم يقترب من بارا طوال حياته.

وعادت المرارة إلى صوت تاي: «ولن تعني بارا أي شيء له».

ـ حسن جداً.. ألا يمكن أن تتزوج ثم تطلق؟

ـ فكرت بهذا.. لكن أبي فكّر بكل شيء. لم يكن ليسمح بأن يهدد مستقبل بارا أي طلاق.. فأرادني أن أستقر، مع زوجة عاقلة وأولاد، كما خطط لي.. لذا فإن الوصية تنص على أنني يوم أطلّق تعود بارا إلى بول غيبسون.

وارتشف رشفة كبيرة من القهوة وكأنه بحاجة إليها، وقال: «لا تستطيعين القول إن والدي لم يفكر بكل شيء».

وبدأت ليزي تفهم سبب مرارته: «إذن.. أمامك خياران؟ إما الزواج أو خسارة بارا».

وضع تاي فنجان قهوته جانباً: «هذا صحيح.. حين ذكر لي محاميه شروط الوصية، غضبت كثيراً ولم أعد أستطيع التفكير.. لقد أمضيت حياتي كلها أحاول الخلاص من سيطرة أبي. والآن، إذا أردت بارا، فيجب أن أستسلم له، ولقد أقسمت ألاّ أدع أحداً يدير حياتي.. لكن، علي الآن أن أتخلى عن استقلاليتي، وأتزوج الفتاة التي أراد اختيارها

لي.. وعلمت أنني لن أستطيع أن أفعل هذا. فسيكون الأمر وكأني أسمح له بالسيطرة على ما تبقى من حياتي..».

وصمت تاي، يتذكر كيف أحس ذلك اليوم.

ـ كانت المرة الأولى التي أعود فيها إلى بارا بعد عشرين سنة. لكن حين عدت أدركت تماماً كم خسرت وكم اشتقت إليها. لقد كانت..

وصمت ينظر إلى يديه مقطباً، واعترف: «لا أستطيع شرح كيف شعرت.. لا شيء تغير، وكان جزء مني على استعداد لأن يلقي بشروط أبي إلى الجحيم، لكن...».

نظر إلى عيني ليزي، فحدقت في عينيه الصافيتين، وقال ببساطة: «أردت أن أعود.. ولكي أعود.. يجب أن تكون لي زوجة».

أشاحت ليزي بنظرها بعيداً، وحدقت بثبات في فنجانها.. ثم قالت: «إذن.. لهذا جئت إلى حفل زفاف إيلي».

اعترف: «أجل.. كنت قد اتخذت قراري لتوي، ولا زلت أشعر بالمرارة. حين دعاني والدك، فكرت أن من الأفضل أن أجيء.. يجب أن أتعرف إلى الناس، وبدا لي أنها فرصة جيدة، لكنني سرعان ما أدركت أن إيجاد زوجة لن يكون سهلاً. هناك أناس كثيرون يتذكرونني من أيام جنوني.. ومن الواضح أنهم لا يريدون أي صلة بي».

وتذكرته ليزي في العرس، يراقب الجمع ببرود.. كان يقيّمهم جميعاً، يتفحص النساء وكأنهن أغنام.

سألت بحدة: «إذن.. ما الذي جعلك تختارني كزوجة مناسبة؟».

ـ كنت مختلفة.

واستدار قليلاً في مقعده لينظر إليها: «كنت الشخص الوحيد المستعد للتحدث إليّ، هناك، وبدوت لي مختلفة».

قال هذا ببطء وكأنه يتصورها كما كانت ذلك اليوم، بوجهها

الصبوح، وثوبها الأزرق ، وحذائها الغريب .

ـ كنت نموذجاً خاصاً. وكلما اكتشفت المزيد كلما بدوت لي أفضل من ذي قبل. قد تكونين فتاة مدينة . . لكنك ولدت وترعرعت في الصحراء. ولذلك فإن منفذي وصية أبي لن يعترضوا عليك.

ردت ليزي بسخرية: «أوه. . حسن جداً. . لا بأس في هذا إذن».

ابتسم قليلاً: «حين التقطت باقة الزهر. . حسن جداً، أنا لا أؤمن كثيراً ببشارات الخير. . لكنني بدأت أتساءل عما إذا كان هناك شخص يحاول أن يقول لي شيئاً؟ وعرفت لحظتها أنك عزباء، وهذا هو الشيء الأساسي. . وكنت جذابة».

نظر تاي إلى وجه ليزي المعادي: «أنا لا أدعي أنني وقعت في حبك بجنون ليزي. . فأنا لم أرغب يوماً أن أتزوج. . لكنني كنت أعرف أن عليّ أن أجد زوجة. . وحين تطلعت حولي، أدركت أنني من الأفضل أنّ أتزوجك بسرعة».

ـ يا إلهي. . شكراً!

ـ خطوتي التالية كانت أن أجد طريقة لأراك مرة أخرى. . وكنت محظوظاً حينما ذكرت لي أنك تعملين في العلاقات العامة، وأنك تفتشين عن عمل.

ـ لا بد أن هذا كان مضحكاً. . جعلتني أظن أنني أستطيع إنقاذ حياتي المهنية. . في حين. .

صمتت بعد اتضاح الأمور، ثم تذكرت بغضب: «وذلك العناق؟ لم يكن من داع لأجعل نفسي معرضاً لسخرية الجميع. . أليس كذلك؟».

ـ بالعكس. . أظهر لي ذلك الكثير عنك.

وأضاءت الدعابة عيني تاي: «لو كنتَ من ذلك النوع من الفتيات الذي يتأثر بآراء الآخرين، لما سعيت الى تعزيز معرفتي الوثيقة بك».

صمت قليلاً: «لكنك لم تكوني من ذلك النوع من الفتيات. . أليس

كذلك ليزي؟».

قالت بلهجة دفاع: «كنت متلهفة للعمل. . وإلا لما عانقتك».

ـ وهذا المساء؟

اغمضت عينيها الزرقاوين، وغطى الاحمرار وجهها وهي تتذكر كيف ذابت بين ذراعيه. . وتمتمت: «كان يجب أن تقول لي. . اعتقدت طوال المساء أنني في مقابلة عمل».

ولم يكن هذا صحيحاً. . وتعرف هذا، لم تكن تفكر بالوظيفة حين سارت إلى جانبه في الظلام، وحين عانقته. . وقال تاي: «لم أستطع أن أقول لك مباشرة، كنت أعرف أنك لن توافقي لو قلت لك إنني أبحث عن زوجة، وليس عن مستشارة علاقات عامة. أردتك أن تعرفي ما تعني لي بارا، وأن أجعلك تفهمين لماذا يجب أن أتزوج. . وكان يجب أن أتأكد من أنك لن تهرعي رأساً إلى الصحف لتروي قصتي».

صمت قليلاً، ثم أكمل وهو يتطلع إلى وجهها: «لهذا قلت لك إنني يجب أن أثق بك أولاً. . ولهذا السبب أثق بك الآن».

* * *

٥ ـ ليست للبيع

قال تاي مذكراً، حين أشاحت ليزي ببصرها: «لكنك قلت إنك تريدين الزواج».

ـ ليس هكذا!

ـ لكن النتيجة واحدة. هذه الطريقة تمكننا من تحقيق طموحاتنا. سأحصل على بارا، وأنت تحصلين على زوج، وعائلة. .

اصطبغ خدا ليزي بحمرة خفيفة، لفكرة الانجاب من تاي. كانت فكرة شديدة الاثارة والحرج وأصبح صوتها حاداً: «لا تستطيع أن تعد زواجي منك وظيفة من نوع ما. وما الذي تقترحه؟ راتباً شهرياً؟».

ردّ بجدية، متجاهلاً سخريتها: «لن تحتاجي إلى راتب. . بصفتك زوجتي، ستكونين امرأة ثرية جداً، وستتمكنين من أن تفعلي ما تشائين».

ردت بحدة: «ما عدا الطلاق».

هز كتفيه: «لن أتدخل في شؤونك. يمكنك أن تكوني مستقلة بالطريقة التي تريدينها، ما دمت لي قانونياً. ولن تضطري لمشاركتي الفراش، إذا لم تكوني راغبة».

ورمق جانب وجهها الساخن بنظرة، مضيفاً: «يمكن أن تشتري لك شقة في نيويورك، وأن تعيشي بالضبط كما تحبين أن تعيشي. وكل ما عليك فعله أن تمضي معي ما يكفي من الوقت في بارا، لإقناع منفذي

وصية أبي أن زواجنا حقيقي. ولن يكون هذا صعباً كثيراً، أليس كذلك؟».

قالت ليزي محتجة: «ليس الزواج هكذا».

وارتجفت لمجرد التفكير بمثل هذا الترتيب البارد: «الزواج ليس المال أو الاستقلال. . إنه التزام. . ومشاركة. .».

ونظرت إلى يديها في حجرها: «. . إنه الحب».

طغى الازدراء على صوت تاي: «أوه. . الحب. . كان يجب أن أعرف أنك ستأتين على ذكره!».

ردت بعناد: «إنه مهم».

ـ إنه وهم. ولن أحاول استغفال ذكائك بالادعاء أنني أحبك ليزي. . لكنني أعتقد أن لدينا الكثير غيره. هناك أشياء كثيرة فيك تعجبني، مظهرك، وطريقة كلامك.

صمت، ثم قال وهو يبتسم: «تعجبني طريقة عناقك».

حاولت أن تتحدى هذه الفتنة. . ألا تقع في شرك ابتسامته مجدداً!

قالت بنظرة حادة: «الزواج بي يهيء لك مزرعة مواشي بمليون فدان!».

وافق تاي برصانة: «وهذا أيضاً. . وأظن أن كل هذا يجعل الزواج ناجحاً».

ردت بغضب: «هذا على افتراض أن هناك ما يكفي من أشياء تعجبني فيك!».

ـ أليس هناك؟

ـ في هذه اللحظة، لا أستطيع التفكير بشيء!

قال بنوع من التجني: «يعجبك أن أعانقك. . لا تحاولي الإنكار».

أقفلت فمها بعد أن حاولت الاحتجاج، ونظرت إلى تاي بعدوانية.

وقالت بعد لحظة: «هذا لا يكفي».

أخذ تاي نفساً عميقاً محبطاً، وسأل: «ماذا تريدين بالضبط؟».

ماذا تريد؟ وضعت ليزي يديها على الطاولة تتفرس بهما.. ثم قالت ببطء: «أريد شخصاً أحبه، شخصاً يجعلني آمنة. وحينما أشعر بالألم، يستطيع أن يملأ كياني بهجة. شخصاً هو نصفي الآخر..».

ورفعت عينيها لتلتقي عيني تاي: «.. أريد شخصاً يشعر نحوي بما أشعر به تماماً».

ساد صمت قصير.. ثم نظر تاي بعيداً بشيء من التوتر.. وقال: «هذا مجرد حلم رومانسي.. الحياة ليست هكذا».

فكرت ليزي بغراي وكلير، وبأختها التي بدأت لتوها حياتها الزوجية.

ـ لكنه حلم ممكن.

سأل: «وإلى متى؟ إلى متى سوف تنتظرين هذا الشخص الغامض ليزي؟ خمس سنوات؟ عشرة؟ كم عمرك..؟ أربع وثلاثون؟».

ردّت بسرعة: «ثلاث وثلاثون».

ـ حسن جداً ثلاثة وثلاثين. لكن الزمن يجري.. وأنت تعيشين في عالم الأحلام ليزي، ليس هناك علاقة مكتملة.. وفي يوم من الأيام ستستيقظين لتدركي أنك أضعت حياتك بانتظار شيء لا وجود له، قد لا أكون الرجل المثالي لك، لكنني على الأقل موجود.

صمت قليلاً، ثم أكمل: «أنت تزدرين المال.. لكن، فكري بالفرق الذي يمكن أن يسببه. لن تفكري بالديون. يمكنك أن تتسوقي من باريس، وأن تذهبي إلى هونغ كونغ في نهاية الأسبوع، وأن تشتري أحذية كثيرة كما تشائين».

وتابع محاولاً اقناعها: «يمكنني تقديم الأمن المالي لك، وأن أعطيك الأمن العاطفي أيضاً.. إذا كان هذا ما تريدينه. أنا لم أرغب يوماً في أن أكون أباً.. ليس بعد تجربتي الخاصة.. لكن يمكننا إنجاب

الأولاد.. ولمَ لا؟ جيل جديد يكبر في بارا، يمكن أن تكوني أماً ليزي. حسن جداً.. لن يجمعنا الحب الحقيقي الذي تحلمين به.. لكن ستقوم علاقتنا على الانجذاب، والاحترام. ولطالما بنيت بيوت على أقل من هذا، فلا تدعي هذه الفرصة تفلت من يدك».

كيف سيكون الأمر لو تزوجت من تاي؟ وتخيّلت ليزي نفسها زوجته، تتعلم كيف تستطلع مزاجه، وتعرف كيف يشرب قهوته.. وكيف سيكون مظهره حين يصحو من النوم.. وكيف ينام.. وكيف يبادلها الحب.

وجف ريقها للفكرة، سيكون جسمه مألوفاً لها تماماً.. وستمرر يديها عليه، وتستأنس ببشرته.. تستطيع أن تبتسم حين ينقلب في الفراش ويمد يده لها.

شعور دافىء خائن تحرك داخلها، وأحست به يسري بخبث، ويمسك بها.. وآثرت أن تخرس أفكارها بجهد كبير.

ماذا تفعل؟ أتفكر بالأمر؟ يجب أن تفكر بكلير وكيف تنظر إلى غراي.. بالانطباع الذي بدا على وجه أيلي ساعة قبلها جاك كزوجة له.. هذا ما تريده. وعنفت ليزي نفسها بقسوة، الأمر أكثر من شخص تستيقظ معه في الصباح، وأكثر من الأمن المالي، الذي يظن تاي أنه سيكون جذاباً لها.

إذا كان الأمان هو كل ما تريد، لتزوجت ستيفن. على الأقل، كان ستيفن رؤوفاً، كريماً، وصديقاً مخلصاً. وربما كانا الآن سعيدين بما يكفي، لكنها عرفت أنها لا تحتاج إلى ذلك فقط. إنها لا تحتاج إلى الأمان، ولا إلى المال.. كل ما تحتاج إليه هو الحب.

هزت ليزي رأسها الأشقر بحزم: «يجب أن يكون الأمر حقيقياً. وأنا أفضل ألاّ أتزوج أبداً، على أن أرضى بشيء أقل».

قال بعد صمت: «إذن.. لن تتزوجيني؟».

ـ لا.

ـ وماذا عن مشاكلك المالية؟

ـ أنا أبحث عن عمل، لا عن وجبة طعام مجانية. أنا آسفة إذا شعرت أنك أضعت وقتاً ثميناً معي.. لكن، يجب أن تفتش عن زوجة في مكان آخر.. أنا لست للبيع.

ومدت يدها بيؤس لتأخذ الحقيبة التي علقتها على ظهر المقعد.. تاي غيبسون مليء بالمتاعب، وما كان أغناها عن ذلك.. وتألمت لجرأتها على الظن أنه يجهد نفسه للحصول على مساعدة علاقات عامة. لقد كانت سعيدة جداً في بهو الفندق حين قال إنها حصلت على الوظيفة.

والآن، يجب أن تبدأ من جديد.

بقلق، حاولت دفع كرسيها إلى الوراء، لكن تاي أمسك بمعصمها: «ليزي.. انتظري!»

ـ لن أغير رأيي!

ـ تريدين وظيفة؟ سأعطيك وظيفة.

جذبت ليزي معصمها تحرره وقالت بغضب: «لقد سبق ومررنا بكل هذا».

قال: «هذه المرة أتكلم عن وظيفة حقيقية. إذا كنت لا تريدين الزواج مني، بإمكانك أن تجدي لي عروساً أخرى».

قالت بصوت جامد: «هذا ليس نوع العمل الذي أفكر به. ما أجيده هو العلاقات العامة، وليس تدبير الزواج!».

ـ ليس هناك سبب يمنعك من حمل الأمر على هذا النحو.. اعتبريني مُنتَجاً تريدين بيعه، غيّري نظرة الناس بي. اخترعي لي صورة جديدة. افعلي ما شئت لأكون مقبولاً.. وعلى ما أنا عليه الآن. لن أستطيع تجاوز أول سياج، أو دخول منزل لأجد فتاة غير متزوجة قد

تصبح السيدة غيبسون المناسبة! يمكنك تغيير كل هذا، يمكنك إقناع الناس بقبول فكرة أن تاي غيبسون رجل لطيف. يمكنك النظر إلى الأمر كتحدٍ!

ردت منزعجة بتغيير خطته: «وستكون هكذا بكل تأكيد».

لم تتوقع أن يتحطم قلبه لرفضها الزواج منه، لكن هذه الخطة البديلة التي اعتمدها من دون إظهار أي نوع من الندم، أو بذل أية محاولة لائقة، لتغيير رأيها، آلمتها.

وتابع محاولاته: «سأكافئك بما يوازي جهدك. وعند الزواج، ستحصلين على أجر سنة كاملة في أقل من شهرين.. ولك أن تختاري أي منصب في أي مكتب لشركة جي سي أس في قسم العلاقات العامة.. يمكن أن تذهبي إلى لوس انجلوس، سنغافورة، روما.. إلى أي مكان. وإذا فضلت العمل لوحدك، سأوفر لك رسائل دعم لعملك كمستشارة حرة».

نظر مجدداً إلى وجه ليزي، وابتسم قليلاً لتجهم تعبيرها.. وأكمل: «سأكون زبوناً جيداً في حقيبة أوراقك».

إنه عرض سخي جداً، إلى درجة أن ليزي تملكها الشك، وسألت بحذر: «وماذا علي بالضبط أن أفعل لقاء هذا كله؟».

ـ أن تحرصي على أن أتزوج قبل بلوغي الأربعين.

وجعل تاي من الأمر مهمة سهلة.

وقالت: «لا أرى ماذا أستطيع أن أفعل، بالكاد يمكنني الاستعداد، والبدء في طلب أيدي الفتيات من أجلك!».

ـ لا.. تستطيعين توفير الكثير من وقتي، أنت تعرفين من هي المتزوجة ومن هي غير المتزوجة. مَنْ يمكن أن أتقدم إليها من دون حرج. مهمتك ستكون اختيار الفتاة وتدبير أمر تعارفنا. وسأقوم بالباقي. فكري بنفسك كسكرتيرة اجتماعية إذا أحببت، ومهّدي لي

الطريق، وتأكدي من أنني سأكون مقبولاً في المجتمع من جديد.

قطبت: «ولماذا تحتاج إلي إذا كان هذا كل ما تريده؟».

- لأنني رجل مشغول. وليس لدي الوقت لأفعل كل هذا بنفسي.. قضى والدي عشرين سنة في إقناع جيرانه أنني لست أهلاً للثقة، فهل أستطيع تغيير هذا في شهرين.. في السادس من حزيران أبلغ الأربعين.. وإذا لم أتزوج في هذا التاريخ، فمن الأفضل ألا أزعج نفسي.

قالت معترضة: «لا بد أن لديك الكثير من الموظفات في شركة جي سي أس، يستطعن أن يكن سكرتيرات اجتماعيات».

- لسن بمثل قدرتك. أنت تعرفين هؤلاء الناس، وهم معجبون بك.. رأيت هذا في عرس أختك.. وإذا أيدتني.. فسأكون قد قطعت نصف الطريق!

أخذت ليزي تلف حمالة حقيبتها الرفيعة حول يدها، ثم قالت أخيراً: «لست أدري.. يبدو لي هذا نوعاً من القسوة، مثل أي مباراة جمال. قد أسوق كل النساء المتوفرات إلى زريبة ماشية وأتركك تنتقي من تشاء».

أبقى تاي صوته ثابتاً بجهد ظاهر: «لن يكون الأمر هكذا.. كل ما عليك أن تفعليه أن تقدميني. ثم، بعد أن أختار، يمكنك مساعدتي في إقناع من أختارها أن الزواج مني فكرة جيدة».

سألت: «وماذا لو جرحت مشاعرها؟».

- جرحت مشاعرها؟ وكيف سيحصل هذا؟

ترددت ليزي: «حسن جداً.. قد تشعر نحوك بأكثر مما تشعر أنت نحوها.. ومن الجميل منك أن تقول إن العشرة الزوجية والأمان المالي يكفيان. لكن، كيف ستشعر هي، وهي تعرف أنها الطريق إلى بارا، ليس إلا؟».

- سأكون صادقاً معها.. كما كنت صادقاً معك.

وأرادت أن تقول: أنظر إلى أين أوصلك هذا! لكنها لم تجرؤ.

وقطب في وجهها وكأنه قرأ أفكارها: «ستتفق على كل شيء قبل أن نتزوج، ولن تستطيع القول فيما بعد أنها لم تكن تعرف شروط هذا الزواج».

تنهدت ليزي، كيف تشرح لرجل مثل تاي أن النساء لسن هكذا؟

وحاولت: «ليس الأمر بمثل هذه السهولة.. لا يمكنك التعامل مع الزواج كصفقة تجارية!».

- أعتقد أنك قادرة على هذا.. استخدمي العواطف التي تريدينها. لكن حين يصل الأمر إلى الزواج، فاعلمي أنه تبادل ممتلكات. والنساء لسن رومانسيات كلهن مثلك، فهناك الكثيرات ممن لا يمتنعن عن الاستغناء عن القلوب والأزهار، لقاء حسابٍ مصرفي.

- هذا موقف شنيع!

- لمجرد أنك تظنين هذا، لا يعني أن الآخرين سيوافقونك الرأي.. وإذا فهمت امرأة الظروف، واتخذت القرار لتتزوجني، فمن أنت لتقولي إنها مخطئة؟ وسعادة زواجنا، لن تكون مشكلتك أنت.

وبدا الأمر معقولاً ومنطقياً.. لكنه بالنسبة إليها ما يزال خاطئاً.

- لست أدري..

وترددت.

قال: «أنا أعرض عليك عملاً ليزي.. لقد قلت إنك يائسة.. كل ما عليك أن تفعليه هو قضاء شهرين في نشاط اجتماعي.. فهل سيكون هذا صعباً؟».

لن يكون صعباً.. فالاجتماعيات الهواء الذي تتنشقه ليزي. وبضعة أسابيع في تقديم تاي للمجتمع، واقناع الناس، ومنهم أمها، بانه ليس سيئاً، لا يبدو كثيراً مقابل أجر سنة كاملة.. هذا عدا عن عرض العمل

في جي سي أس ولطالما أحبت فكرة العيش في نيويورك أو لندن.

قالت: «لا أستطيع إجبار أحد على الزواج منك، هل أتقاضى أجري إن لم أنجح؟».

هز رأسه: «وأين الإثارة في هذا؟ أنا أؤمن بالدفع حسب النتائج.. بإمكانك الحصول على حساب مفتوح لتغطية النفقات. لكن على الباقي أن ينتظر إلى يوم زفافي».

كررت ليزي: «لست أدري».

كانت منقسمة ما بين فكرة حل مشاكلها المالية والمهنية في صفقة واحدة، وبين صعوبة الفكرة كلها.

واضطربت العينان الزرقاوان. وبدا التردد واضحاً على وجهها. مال تاي نحوها ليأخذ يديها في قبضة حازمة.. وقال يحاول إقناعها: «أنا لا أطلب منك أن تفعلي شيئاً غير قانوني أو غير أخلاقي، بل أطلب منك مساعدتي ليزي».

كانت أصابعه دافئة وقوية ومطمئنة بشكل خطير.. وأحست ليزي بإرادته تنبض من بشرته وكأنها قوة متجسدة.. وارتفعت عبر ذراعيها، تزيل شكوكها، وتمحو اعتراضها إلى أن وجدت أنه من الصعب أن تتذكر سبب ترددها.

وأبعدت اهتمامها عن لمسته.. وحاولت أن تبدو أكثر اهتماماً بما يقول: «لو كان لدي وقت أطول.. لتعرفت على الناس تدريجياً، وأملت أن يتقبلوني وكنت سأجد زوجة لوحدي.. لكن ليس لدي وقت.. وصية أبي تنصّ على أتزوج قبل سن الأربعين.. وهذا لا يعطيني سوى أسابيع».

أفلت يديها، فأظهرت شيئاً من الارتياح. وعاد يقول وهو يستند إلى ظهر مقعده: «أريد أن أعود إلى موطني ليزي، أريد العودة إلى بارا، ولا يسعني ذلك بدونك. أرجوك، فكري بالأمر على الأقل».

أحست ليزي بارتخاء يديها وفراغهما من قبضة تاي الدافئة، ولم تعرف ماذا تفعل.. وضعتهما في حجرها، لكن هذا بدا غير طبيعي، فأراحتهما على الطاولة، وشعرت بأن الأمر ازداد سوءً. في النهاية وضعتهما حول فنجان القهوة الفارغ، وعولت على تجاهل الارتباك.

كان تاي ينتظر، وقد ثبت نظراته على وجهها، فحدقت ليزي في عينيه، ثم أشاحت بنظرها. سمعت نفسها تقول: «حسن جداً.. سأفكر بالأمر».

وفكرت بالأمر طوال تلك الليلة وهي تتقلب في سرير الفندق، وفي رحلة العودة الطويلة إلى بيرث. كانت كلماته تهاجمها من دون توقف، وهي تسير على غير هدى في منزلها. ولم تعد قادرة على التفكير... فالتقطت سماعة الهاتف لتبلغه قرارها.

وبعد أن أبلغته علق قائلاً: «عظيم.. لن تندمي».

وكان متصلباً.

ـ هل يمكن أن تصلي إلى ماتيسون يوم الثلاثاء؟ سأطير في اليوم نفسه من سيدني، وسآخذك من المطار، لنذهب إلى بارا معاً.

حين حطت الطائرة بليزي في ماتيسون بعد ظهر الثلاثاء.. كان هناك طائرة نفاثة صغيرة، تحمل شعار شركة جي سي أس، متوقفة قرب المدرج. جرت حقيبتها خلفها، واتجهت إلى الطائرة فأبلغت بالتوجه إلى طائرة صغيرة تقف في مكان آخر فوق المدرج.

وفي الطائرة، وجدت تاي على الحاسوب، فرفع رأسه ينظر إلى ليزي وهي تعطي حقيبتها إلى الطيار.

قال، وهو يطفىء الجهاز بحدة: «وأخيراً.. نستطيع الآن أن ننطلق».

وبدا لها أن هذه هي التحية الوحيدة التي ستتلقاها منه.

كانت ليزي قد أمضت الأيام الثلاثة الماضية تحاول إبعاد ذكرى

عناقه قرب الميناء. وصممت على تجاهل الموضوع، وهي تعدّ حقيبتها، وتدفع ما تراكم عليها من حساب.

لكنها لم تنسَ. فنبضاتها تتسارع، وقلبها يظهر ميلاً واضحاً إلى الهيجان، كلما فكرت في تاي، أو في كل ما له صلة بذلك المساء غير العادي.

بدا وكأن العالم من حولها يسعى ليمنعها من النسيان. فيكفي أن يذكر أحدهم سيدني، أو الزواج، لتنهار كل محاولاتها، ولا تغيب الحادثة عن تفكيرها، وتجرفها الذكرى. حتى منظر كفيها كان يكفي لإطلاق العنان لمخيلتها، والشعور مجدداً بكل ثانية من ذلك العناق، وكم عانت من قوة جسده تحت يديها!

في تلك اللحظات كانت ليزي توبخ نفسها، لن تستطيع إكمال الشهرين وهي تتحطم إلى شظايا في كل مرة ترى فيها يديها! لقد كررت دونما نهاية، كل الأسباب التي حتمت قبولها «بوظيفة» تاي، وكانت فكرة جيدة. وعندما تتردد، كانت تخرج آخر كشف حساب مصرفي لها، فيكفي وحده لأن تقتنع بأنها لن تحصل مجدداً على مثل هذه الفرصة، لدفع ديونها أو المضيّ بمستقبلها المهني.

إلى أن صعدت على متن الطائرة في ماتيسون، كانت أقنعت نفسها أن الأمر سيكون سهلاً. ولقد أمضت الرحلة من بيرث تذكر نفسها أنها، وللمرة الأولى في حياتها سوف تقبض أجر عمل اجتماعي، وهذا لا يمكن أن يكون سيئاً، أليس كذلك؟ حتى أنها قد تتمتع بالشهرين القادمين.

فكرة قضاء شهرين مع تاي غيبسون تثير الاضطراب، لكن ليزي أقنعت نفسها أن الأمر سيكون على ما يرام.. سوف تتظاهر أن ما جرى بينهما لم يحدث أبداً. وستعامله كما تتعامل مع أي رب عمل آخر. كل ما عليها أن تفعله، هو أن تفكر به كزبون صعب المراس ومتطلّب.

ولن يكون هذا صعباً.. زمّت ليزي شفتيها وهي تجلس في المقعد قبالة تاي، وتربط حزام الأمان. واضح أنه سيعاملها كأي من موظفيه المنكودي الحظ. وصارحت نفسها: حقاً.. هل كنت تعتقدين أنه سيرحب بك، بعد أن توسل إليك لمساعدته! واضح أنه لن يضيع المزيد من وقته معها الآن، وقد حقق ما يريد.

سألها تاي: «ما بالك؟».

بنظرة باردة.. ردت: «لا شيء.. كنت فقط أفكر أن عملي سيكون أكثر صعوبة مما ظننت. يجب أن تمتلك بضع مهارات اجتماعية قبل أن أقدمك إلى أحد».

عقد تاي حاجبيه: «ماذا تعنين بهذا؟».

ـ أوه.. لا تقلق! أعرف أنك لم تفكر به من قبل. لكن بامكاننا أن نعلّمك أن تقول شيئاً بسيطاً مثل.. أوه.. مرحباً، أو «كيف حالك؟»!

استرخت أساريره قليلاً، وقال: «أستطيع أن أرى كيف حالك.. غاضبة جداً!».

رفعت ليزي يدها إلى عنقها في ذهول ساخر: «من.. أنا؟ ولماذا أغضب؟ لقد أمضيت ثلاثة أيام مجنونة، أقفل فيها منزلي، عدا عما جرى لي في بيرث، وفي عطلة نهاية الأسبوع. وأنا الآن ملزمة بقضاء الشهرين القادمين مع رجل لا يستطيع إزعاج نفسه ليقول «يوماً سعيداً»!».

رفع تاي عينيه إلى السماء: «هذا مجرد حديث سخيف.. ليس له معنى، وما من أحد يرغب حقاً في أن يعرف كيف حالك.. أليس كذلك؟».

قالت بخشونة: «يجب أن تبدأ في مكان ما.. لن تستطيع التقدم إلى امرأة، وتلوّح لها بمالك، ثم تسألها ما إذا كانت ترغب في قضاء بقية عمرها معك في زواج لا حب فيه! أعرف أنك تعتقد أن حسابك

المصرفي سينوب عنك بالكلام، لكنني لا أرى أنك ستفلح كثيراً إذا لم تكن قادراً على قول: تسرّني رؤيتك!».

التوى فمه قليلاً: «سأقول هذا حين أكون مضطراً، وليس من دون ذلك. أنا أكره مثل هذه المناسبات الاجتماعية».

وفك ربطة عنقه قليلاً وكأنما شعر بالضيق: «وأكره الوقوف لتبادل الحديث المهذب، مع مجموعة من الناس لا أعرفهم، ولا أريد أن أعرفهم!».

ـ كنت أعتقد أن هدف مجيئي معك هو أن أساعدك في أن تكون اجتماعياً!

قال متذمراً: «هذا صحيح.. وأنا لا أقول إنني لن أذهب إلى مثل هذه المناسبات. لكنني أقول إنني لن أحبها».

قالت: «هذا تصرف خاطىء من البداية! ما من أحد سيرغب في أن يتكلم معك لو وقفت وحيداً وكأنك غير موجود، يجب أن تسترخي.. وتتمتع بوقتك».

ـ وهل تظنين أنني سأتمتع بوقتي حقاً، وأنا اتذلل لمن درج على الاساءة إلي، طوال عشرين سنة، إذا لم يكن أكثر؟ وهل يسرني أن اضطر لأكون لطيفاً معهم، وأن أتظاهر أنني لا أعرف بماذا يفكرون، وأحاول أن أجعلهم يحبونني؟

كان صوته خشناً، وبدا من الواضح كيف أن هذا الأمر يمس كرامته. لقد اختار فرانك غيبسون أفضل طريقة لإذلال ابنه، بكل تأكيد، وأحست بالاشمئزاز..

ووجدت نفسها تحاول مواساته: «لن يكون الأمر بهذا السوء.. إنهم أناس طيبون.. وما إن يعرفوك، حتى تسير الأمور على ما يرام».

أنزل كتفيه: «من السهل عليك أن تقولي هذا. لقد راقبتك في عرس أختك».

ونظر شزراً إلى ليزي، يتصورها كيف كانت ذلك اليوم، بوجهها الجميل وابتساماتها الدائمة وعينيها الزرقاوين الحالمتين. قال متذكراً ببطء: «لقد جعلت الجميع يشعرون أنّ أيّ واحد منهم هو الوحيد الذي تريدين حقاً أن تتحدثي إليه.. ولا بد أنك كنت تكررين الحديث مرات ومرات، لكنك بدوت وكأنك مهتمة بكل واحد منهم».

قالت ليزي: «لكن الناس يثيرون الاهتمام.. ولو بذلت جهداً لتتكلم معهم، فستكتشف هذا بنفسك.. ليس الأمر صعباً لقد تكلمت معي، ألم تفعل؟».

ـ كان الأمر مختلفاً معك.

ـ أوه.. كلام سخيف.. كيف؟

نظر تاي إليها لحظة، ثم بعيداً، وقال يعترف للسماء خارج النافذة: «لست أدري.. كان هكذا فقط».

وساد صمت مفاجىء، فأحست ليزي بالاستغراب.. وكأنها فقدت طريقها، أرادت أن تقول شيئاً مرحاً، أن تكسر الجو الصامت بتعليق خفيف.. لكنها لم تستطع التفكير بشيء.

وعضّت شفتها، ثم تطلعت إلى الخارج من نافذتها.. كانت السماء تعكس نظراته الرمادية، وهو ينظر إليها..

كانا يطيران منذ نصف ساعة تقريباً حين تحرك تاي، ثم حدق باهتمام عبر النافذة، قائلاً: «نحن فوق أراضي بارا الآن».

وعاد ليجلس على الفور.. لكن شيئاً في صورة وجهه الجانبية جعل حنجرة ليزي تضيق فجأة، ونظرت إلى الأسفل.. تتساءل لما هذه الأرض تعني الكثير له.

لم يقل تاي شيئاً إلى أن لامست الطائرة الأرض ثم توقفت إلى جانب شجرة عملاقة، حيث تنتظر شاحنة صغيرة جديدة.

نظر الطيار من أعلى كتفه: «سأحضر السلم».

وفتح الباب.

فك تاي حزام المقعد: «لا تزعج نفسك».

سار إلى الباب من الجهة الأخرى ليفتحه، وكأنه نافد الصبر تماماً، متلهفاً ليضع قدميه على أرض بارا مرة أخرى.. وقفز بخفة إلى الأرض.

ولحقت ليزي به بحرص، ووضعت يدها أمام عينيها تظللهما من أشعة الشمس القوية.. استدار تاي ومد لها ذراعيه، وقال: «اقفزي».

فجأة، بدا لها من الطبيعي أن تنفذ ما قال، ووضعت يديها على كتفيه.. وعندما قفزت أحست بيديه الكبيرتين تطبقان بقوة على خصرها.. لكنه، لم يتركها فوراً عندما لامست قدميها الأرض.. بل ابتسم في وجهها.

ـ أهلاً بك في باراكريك.

كانا قريبين من بعضهما تحت أشعة الشمس، وساد الصمت المطبق من جديد.. كانت بشرتها تحترق من حرارة يديه تشعر تماماً بوجوده إلى جانبها، وببشرته السمراء، وضربات قلبه البطيئة الحارة. أخذ جسمها يضج بالأحاسيس الثائرة.

كانت لا تزال تتمسك بكتفيه. وبدا من السهل جداً، أن تدع يديها تحيطان بعنقه، وأن تستند إليه، وحتى أن تعانقه.

من السهل جداً أن تنسى ماذا تفعل هنا ولماذا.

ـ السيارة هنا لتأخذكما إلى المنزل سيد غيسون.

قاطعهما الطيار بصوت مهذب محترم. وأخذت ليزي نفساً عميقاً وحاداً، ثم خطت بعيداً عن تاي، تحس بأنها كادت تبدو مغفلة، مرة أخرى.

وترك تاي خصرها.. وتلاشت ابتسامته وقال من دون تركيز: «السيارة.. أوه.. أجل».

قالت لتاي حين لم يتحرك لينضم إليها بعد أن صعدت إلى السيارة: «ألست قادماً معنا؟».

قال: «لا».

ولاحظت ليزي تغييراً قوياً في تعابير وجهه.. حزناً دفيناً لا يريد أن يبارحه.

ـ اذهبي أنت.. أودّ أن أتمشى.

* * *

www.elromancia.com

٦ - لم يبقَ سواها

كان منزل المزرعة القديم مقاماً على مرتفع مطل على جدول ماء، وتحيط به واحة من الحدائق الخضراء. وفي طريقة بروزه عن الأرض، يحس المرء بقدرته على تحدي الفيضانات والنار، والجفاف والزوابع.

تجوّلت ليزي في الغرف، تتمتع بالهدوء، وتتفحص المكان فبدا لها غريباً. كان كل شيء مرتباً.. لكن بدا أن فرانك غيبسون لم يكن يؤمن بالأبهة أو الرفاهية.

ضاقت عيناها وتخيلت كيف يمكن أن تكون الغرف. لم يكن الأثاث الحديث، هو ما تحتاجه بارا بالضبط بل تحتاج إلى الحياة والضحك والحب، لتطرد الأشباح العالقة من ماضي أسرة غيبسون...

استحمت ليزي وارتدت فستاناً بارداً عاجي اللون، وهي تتساءل عن تاي وعما يفكر فيه وهو يسير عائداً عبر الأشجار المنخفضة.

بالطبع تفهمت أنه يريد أن يكون وحيداً. لكنها شعرت بقليل من الحرج لصرفها عنه فجأة. وما كانت ستهذر طوال الطريق وتفسد عليه فرحته، بل ستشاركه فرحة العودة إلى بارا أخيراً.

لكن تاي لا يؤمن بمشاطرة مشاعره.. ذكرت ليزي نفسها بهذا، فأحست بالاكتئاب.

خرجت إلى الشرفة، لكنها لم ترَ أثراً له، وانتابها قلق شديد. وأخذت تذرع الشرفة صعوداً ونزولاً.. وتقف كل دقيقتين لتتفحص

ساعتها.

بالتأكيد كان يجب أن يعود الآن، فالظلام سيحل قريباً. والمسافة من المطار إلى المنزل ليست طويلة.. ماذا لو ضاع؟ أو وقع ولم يستطع الوصول إلى المنزل؟

وكانت على وشك الخروج للبحث عنه، عندما لمع قميص أبيض بين الأشجار قرب الجدول، فاسترعى انتباهها. وظهر تاي، مبتهجاً بشكل غريب، حتى في ملابس المدينة.

استقبلته بحدة عند وصوله سلم الشرفة: «أين كنت؟».

توقف تاي وقدمه على أول السلم: «جئت عن طريق الجدول».

ـ لقد غبت ساعات.

رفع حاجبيه استغراباً: «جلست قليلاً.. كنت أفكر».

ـ تفكر بماذا؟

طافت عيناه الرماديتان في وجهها ثم تحولت عنها بعيداً، وقال: «أمور مختلفة، لماذا.. هل ثمة مشكلة؟».

ردت غاضبة وهو يصعد السلم لينضم إليها: «ألم يخطر ببالك أنني قد أقلق؟».

قال: «لا، لم يخطر ببالي هذا، ولماذا تقلقين علي؟».

وجدت ليزي نفسها غير قادرة على الرد، فحدقت به بغضب: «أنا لن أتقاضى أجري منك إن ضعت.. أليس كذلك؟».

ضحك تاي، وكأنه يتسلى بسورة غضبها..: «لن أضيع في بارا.. لكنني مسرور لسماعي أنك تفكرين بمكافئتك! اجلسي هنا وفكري كيف ستكسبينها.. وحين أعود أخبريني عن خططك ونحن نشرب شيئاً».

واختفى داخل المنزل. جلست ليزي في أحد مقاعد الخيزران، تراقب عتمة السماء، وتمنت لو أن تاي لم يضحك من كلامها. كيف يمكن لتجعيدة صغيرة من خديه، وبضعه خطوط حول عينيه، وومضة

خاطفة من أسنانه أن تبعث كل هذا الاضطراب في مشاعرها؟

على الأقل، لديها بعض الوقت لتتماسك، وعبست ليزي وهي تتطلع إلى غروب الشمس وحاولت ضبط أنفاسها. . .

حين عاد تاي إلى الظهور، كان يرتدي بنطلوناً مخملياً، وقميصاً أصفر في حين شعره الأسود لا يزال مبتلاً.

سألها تاي: «ماذا تحبين أن تشربي؟».

ـ في الواقع أفضل عصير الكرز مع الصواد.

ونظرت إلى الخادم بشيء من الذهول وهو يختفي دونما صوت ليأتي بالشراب.

ـ من أين تأتي بخدم كهذا؟

ـ من شقتي في سيدني. .

ـ تهيىء لنفسك أسباب الراحة.

ـ يجب أن أفعل. . فهذا بيتي الآن.

ذكرته: «هذا إذا وجدت زوجة لك».

واشتدت ملامحه: «سأفعل، ولن أغادر بارا مرة أخرى».

وتساءلت ليزي عما إذا كانت لديه فكرة عما يعنيه الزواج. بدا وكأنه يعتقد أن الحصول على زوجة أمر بسيط. وفكرت أن تقول له إن الأمور قد تكون أكثر تعقيداً من هذا، لكن إصراراً واضحاً في وجهه، جعلها تفضل اللامبالاة.

سألت: «أين سينام كل هؤلاء الخدم؟».

ـ هناك عدة منازل مهجورة من أيام جديّ. كان لمدير المزرعة منزل، وللمربية، ولأشخاص مثلهما.

وبدا غير مكترث. . واضح أنه قليل الاهتمام، وغير حريص.

وأضاف: «ثم هناك المنزل الذي بناه أبي لمدبرة المنزل».

بدا الشك على ليزي، وأخذت تفكر بمدبرة منزل فرانك غيبسون

المهيبة: «وما رأي ڤيرونيكا بهذا؟»

قال تاي ببرود: «لا يهم بماذا تفكر. . لم تعد هنا».

سألت بخوف عميق: «وهل طردتها؟».

ـ عدت إلى بارا بعد عشرين سنة لأجد نفسي متهماً بالتسبب بموت أبي. . ولأنني كنت في أميركا في حينها، لا أفهم كيف فعلت هذا. . هددتني ڤيرونيكا بترك المنزل إذا ما وطأت قدماي المكان.

ذهلت ليزي. . وتصورت المشهد، فسألته: «وماذا قلت؟»

ـ قلت لها كلما سارعت بالمغادرة، كلما كان ذلك أفضل.

ـ يا إلهي!

ـ ماذا يفترض أن أفعل؟ أركع على ركبتيّ وأتوسل إليها لتبقى؟

ـ لقد بقيتْ مع والدك زمناً طويلاً، ولا بد أنها تأثرت لموته. . وكانت بارا بيتها لعشر سنوات. . فهل ستتمكن من الحصول على عمل بسهولة؟ ولو تمكنت من إقناعها بالبقاء لحسّنت سمعتك. . لكن، طرد العمال المحليين، وجلب غيرهم من سيدني لن يجعلك محبوباً جداً.

اشتد ضغطه على فكه، وقال ساخطاً: «أنا لم أطرد أحداً. . ڤيرونيكا هي التي تركت العمل، وإذا لم تجد مكاناً تعيش فيه، فهذه ليست مشكلتي. . العاملون في المزرعة ما زالوا هنا. . لم تتح لي فرصة رؤيتهم آخر مرة، لكنني دفعت أجورهم. . لذا، قد يقصدون البلدة ويخبرون الجميع أنني لست في الواقع رمزاً للشيطان!».

تناولا العشاء تلك الليلة في غرفة طعام كئيبة معتمة، وجلسا على طرفين متقابلين من طاولة طعام طويلة مصقولة. . بدا لها من الغريب جداً أن تتلقى خدمة مماثلة، ولم تستطع أن تتخيل رد فعل الطاهي حينما شاهد المطبخ الريفي. . لكنه حضر عشاء رائعاً، قدمه بيتر، وهو يتحرك بخفة حول الطاولة.

قالت بعد أن أغلق الباب خلفه: «أتساءل كم سيتحمل.. سأعطيه فرصة ثلاثة أسابيع على الأكثر».

نظر تاي إليها بارتياب: «ماذا تعنين؟».

- هيا الآن تاي..! هؤلاء الناس معتادون على العمل في شقق المدينة الفخمة! ولن تسرهم ظروف العيش هنا.. ماذا سيفعلون حين لا يكون لديهم عمل؟ سيسأمون بعد خمس دقائق.. ولا ألومهم!

- إنهم يتلقون أجوراً جيدة جداً.

فأشارت ليزي بشوكتها وقالت بتكبر: «المال ليس كل شيء».

- لكنه سبب وجودك هنا.

هذا صحيح.. واعترفت ليزي بذلك مستسلمة. لولا ذوقها المسرف وديونها، لما كانت هنا. ولن تمضي شهرين في الصحراء لمجرد أن تستمتع برفقة تاي.. أليس كذلك؟

أصر تاي: «أليس كذلك؟».

تمتمت: «أجل».

قال بنظرة قاسية: «أرجو أن تكوني قد فكرت بطريقة لتستحقي كل المال الذي وافقت على دفعه لك».

- لقد قمت ببعض الأبحاث. أنت محظوظ.. هناك حفلة «روديو» في نهاية الأسبوع المقبل.. وسباقات ماتيسون بعد أسبوعين.

وصمتت.. تنتظر أن يعلق تاي، لكنه لم يتأثر: «وهل هذا كل شيء؟».

قالت مدافعة: «إنهما مناسبتان اجتماعيتان كبيرتان، الجميع سيحضرهما.. والروديو فرصة ممتازة للبدء في تقديمك. وأعتقد أن هذا سينجح جيداً».

وكان رد تاي، همهمة غير واضحة المعنى. فتابعت ليزي: «بعد أن تقوم ببعض الاتصالات، أفكر أن أدعو الجميع إلى حفلة هنا».

- لن يأتي أحد.

- سيأتون بعد أن تتاح لهم فرصة معرفتك بشكل لائق.. أراهن أنهم يتحرقون شوقاً للتجول في بارا، فوالدك لم يقم علاقة مع أحد.. أليس كذلك؟ معظمهم لم يرَ بارا، وتعرف كم هم فضوليون.. أنا كنت سأتحين مثل هذه الفرصة.

لم يقتنع: «ليس لدى الجميع مثل حماسك للحفلات».

- سيرغب الجميع في المجيء إلى هذه الحفلة، لأنني سأمضي شهراً أقول لهم كم ستكون حفلة رائعة.. ولسوف أنظم لك حفلة خرافية. ستكون حدثاً مشهوراً يتكلم الناس عنه لسنوات قادمة.. وستدعو الجميع من دون استثناء.

ولمعت عيناها الزرقاوان حماسة: «نستطيع استقدام فرقة موسيقية، ومقدمي برامج تسلية.. يمكن أن نجعلها كرنفالاً مصغراً وستكون مذهلة!».

سأل بقسوة: «وكم سيكلف هذا؟».

ردت تجادله: «اسمع، ما نفع كل ذلك المال إذا لم تصرف منه شيئاً؟ لن يكون الأمر تبذيراً مفرطاً، بالنسبة لك، أعتقد أنك ستستثمر مالك».

- وماذا تعرفين عن الاستثمار؟ لا يبدو لي أن سجلك قوي في الإدارة المالية!

- ربما لا.. لكنني أعرف الناس.

ولوحت بشوكتها نحوه: «أقول لك.. إقامة حفلة سخية، وتنظيم يوم ممتع للجميع، سوف يكون أفضل ما تفعل. ولن يتمكن أحد من تجاهلك بعد ذلك، ولسوف تتلقى الدعوات من كل مكان، ولن تكون هناك مشكلة في لقاء السيدة غيبسون المرتقبة».

وبخيبة أمل من فتور حماسته وضعت ليزي شوكتها من يدها.

- لا تبدو متحمساً، ظننتك تريد مقابلة الناس؟
- أريد.
- إذن.. هل يمكن أن أمضي قدماً في تنظيم الحفلة أم لا؟
بدا متوتراً: «حسن جداً».
انزعجت ليزي: «أنا أحاول مساعدتك».
يا له من ناكر للجميل! ها هي الآن، تقوم بكل ما طلبه منها، فلا تتلقى منه حتى كلمة شكر!
- لن تجد زوجة إلا إذا كنت مستعداً لأن تقوم بجهد.
صاح: «حسن جداً.. لقد فهمت أنك تريدين مكافآتك المالية!».
قالت: «والوظيفة.. إنني أحلم بالعمل في لندن».
عبس تاي بوجهها: «لن تذهبي إلى أي مكان قبل أن أتزوج!».
قالت بحلاوة: «ولماذا تظن أنني متحمسة لبداية ما؟».
لا ضرر من تذكيره أن اهتمامها به وبزواجه أمر مهني صرف.
- سرعان ما تجد زوجة مناسبة، وسرعان ما أعود لأفعل ما أريد.
صمتت قليلاً، ثم تابعت: «الروديو سيكون بعد فترة.. لذا يجب أن نذهب إلى ماتيسون قبل هذا، وعلى الناس أن يعتادوا على رؤيتك.. هناك دائماً شخص ما تلتقيه في الشارع.. ويمكننا أن نمر بالمصرف وأماكن كهذه كي ترى إذا ما كان هناك أحد. لوكيل بيع الماشية ابنة عادت لتوها من «دارون» ويمكن أن أقدمك إليها».
- عظيم.
رفعت ليزي عينيها إلى السماء، سيكون عملاً شاقاً إذا كان سيبقى فاتر الهمّة هكذا.
- ماذا عن الغد إذن؟
هز رأسه: «ليس في الغد، أريد أن أتحدث إلى رعاة الماشية، لم تتح لي فرصة التجوال بشكل مناسب، حين كنت هنا في المرة

السابقة».
قالت مهزومة: «أعتقد أنني يجب أن أبدأ بالتفكير بالحفلة إذن».
قد تشعر بالسعادة في التخطيط للحفلة. وارتفعت معنوياتها قليلاً للفكرة.. كانت تفكر مسبقاً بفرقة موسيقية، وتحتاج إلى حجز مقدمي البرنامج.. ربما يقيمون برنامجاً خاصاً للأولاد! مدة شهر ليست طويلة، وهناك الكثير لتفعله.. فالأفضل أن تبدأ الآن.
تناولت ليزي طعام الافطار لوحدها في غرفة الطعام في الصباح التالي.. ولم تبد لها الغرفة أكثر بهجة مع نور الصباح.
جلست وحيدة ولم تجد من تكلمه.. حين استيقظت في الصباح لم تجد أثراً لتاي، يبدو أنه لم يستطع الانتظار للخروج إلى بارا المحبوبة.
ولم تستطع منع نفسها من الشعور بالظلم.. كان يمكن على الأقل أن ينتظر ليرى إذا ما كانت تريد مرافقته.
في تلك اللحظة، صفق الباب الزجاجي، وتبع هذا صوت خطوات غاضبة، عرفتها ليزي فوراً فأشرق وجهها، ولم تكترث للانقباض المفاجيء في معدتها فهي لا ترغب كثيراً في رفقته، ولكنها أفضل من لا شيء.
انفتح الباب فجأة، ودخل تاي: «ها أنت هنا!».
وكان يبدو قاتماً، مخيفاً، معتداً بنفسه، كحاله دائماً.
ولم يرق لليزي أن تكتشف أنها مهما ظنت نفسها مستعدة لرؤيته، فإن نبضات قلبها تتسارع غير مفهومة... ويدفع بالأنفاس من رئتيها.
كان وجه تاي قاتماً كالرعد، ووضعت ليزي من يدها قطعة الخبز وهي ترتجف فجأة: «ما الأمر؟».
تفرست فيها عيناه الرماديتان الهائجتان، وهي تجلس وحيدة على المائدة. بدت هادئة، منتعشة.. لكن، لم يبدُ أن مظهرها أعطى تاي أي ابتهاج.

سألها متجاهلاً: «هل جلبت معك ثياب عمل؟».

ـ لدي بعض سراويل الجينز للركوب. لماذا؟.

ـ اذهبي وارتديها.

ـ ولماذا؟.

ـ أنت قادمة معي.

ـ لكنني سأقوم ببعض الاتصالات بخصوص الحفلة، هذا الصباح.

ـ بإمكان الحفلة أن تنتظر، لدينا أشياء أكثر أهمية نفعلها اليوم.. لقد غادر كل عمال المزرعة!

رفعت ليزي عينيها إلى السماء.. كل هذا الضجيج لأن العمال ليسوا في أماكن نومهم.

قالت وهي تأخذ فنجان قهوتها: «لم يذهبوا، ربما خرجوا ليجمعوا الماشية».

ـ إنهم لا يجمعونها! لقد رحلوا.. ولزيادة التأكيد، تركوا لي رسالة في مكان سكنهم يرفضون فيها أن أعاملهم كما عاملت ڤيرونيكا، وقالوا إنني أستطيع الحصول على رعاة ليس لديهم «مبادىء».

ورمى الكلمة بحدة وهو يذرع غرفة الطعام جيئة وذهاباً.

وضعت فنجان القهوة من يدها: «أوه.. يا إلهي».

استدار إليها بغضب: «أوه يا إلهي؟ هل هذا كل ما لديك لتقوليه؟ لست أدري منذ متى غادروا المزرعة، أو ماذا فعلوا قبل أن يغادروا.. وما إذا كانوا في البلدة يثيرون المتاعب مع ڤيرونيكا، لن أجد أحداً يحل مكانهم بسرعة».

تركته ليزي يتجول في الغرفة، يشتم ويشتم.. حتى أفضى بأسوأ ما عنده.. ولم تغفل حراجة موقفه، فمزرعة بحجم بارا لا يمكن أن تعمل بدون رعاة.

سألت بعد أن نفد غيظه: «ماذا ستفعل؟».

ـ أستطيع أن أقول لك شيئاً لن أفعله.. وهو الجلوس لأفرك يدي وأقول: «أوه يا إلهي» وإذا ظنوا أنني سأعود إلى سيدني لأن أحداً لا يحبني هنا.. فهم مخطئون! سوف أتدبر أمري بطريقة ما.. حتى ولو اضطررت لأن أجمع الماشية بنفسي.

وعرفت ليزي كم أن هذا صعب ومستحيل.

ـ سأرى إذا كنت أستطيع أن أجد بعض الرجال غداً.. لكننا أولاً يجب أن نعرف حال الأمور هنا.. لعل أسبوعان مرا منذ تفحص أحد المعالف أو نقاط الشرب.

ـ نعرف.. نحن؟

كان تاي يتمتم لنفسه، لكنه استدار لمقاطعة ليزي له: «أنت وأنا.. ومن غيرنا هنا؟»

ـ لديك ثلاثة رجال، إضافة إلى مدبرة منزل.

ـ لقد سافر الطيار باكراً ليحضر المزيد من المعدات من سيدني.. وهل تظنين أنّ الآخرين سيفيدوننا؟ لن يعرفوا الثور من قصعة الحساء! أنت تربيت في مزرعة.. على الأقل تعرفين عما تبحثين.

ـ أجل.. لكن..

قاطعها قبل أن ترفض: «أنت كل ما لدي ليزي.. أحتاج إليك».

أحتاج إليك! وعلقت الكلمات في الهواء كالصدى، ورأت ليزي فمه يلتوي وهو يعترف أنه لن يستطيع تدبّر أموره بنفسه.. وأحست فجأة بالخجل، لقد سبق وتوسل إليها لتساعده، ويجب ألاّ تدفعه لهذا مرة أخرى.

وقفت قائلة: «سأذهب لأغير ملابسي».

استقلا الشاحنة الصغيرة لتغطية المسافات بسرعة أكبر.. وقاد تاي بشيء من الغضب المكبوح..

التزمت ليزي الصمت.. فالحديث التافه لا يجدي نفعاً وهما

يرتجان ويتمايلان بشدة فوق الأرض الوعرة، حتى ولو كان تاي في مزاج مناسب.

كانت بارا في حالة سيئة، الاسيجة منهارة، والسدود متداعية، ونقاط السقاية ترشح من دون فائدة على الأرض.

ـ الشيء الوحيد الذي أستطيع أن أقوله عن أبي أنه لم يكن يهتم لأمر بارا أبداً.. وهؤلاء الرجال لم يقوموا بأي عمل منذ وقع مريضاً.. وهذا كثير على «مبادئهم»!

نظر إلى الأرض بتعبير كليل، وقال معترفاً وكأن الكلمات تنتزع منه: «ما كنت أظن أن الأمور بمثل هذا السوء».

لا بد أن هذه لحظات مريرة له.. أن يجد حلمه متداعياً مهجوراً.. وحاولت أن تشجعه، وتقدمت لتقف إلى جانبه: «كان من الممكن أن تكون الأمور أكثر سوءاً».

جأر بسخرية: «ممتاز. حجة سخيفة متكررة! هذا كل ما أحتاج إليه!».

اتسعت العينان الزرقاوان بشكل خطير: «اسمع. ليست غلطتي إن كانت سمعتك سيئة، وما من أحد يريد العمل لديك!».

حدقا ببعضهما للحظة، ثم خلع تاي قبعته ومرر أصابعه في شعره، وقال معترفاً: «لا. وأعرف هذا. أنا آسف. كنت فقط..».

وتلاشى غضبها.. فالاعتذار، أو التوسل، ليس بالأمر الهين عليه. ووجدت أنها لا تتمتع بقلقه، فقالت: «الأمر مخيب للآمال».

كان في نظراته شيء من العرفان بالجميل: «أجل. لم أكن أعتقد أنني سأبدأ من الصفر. هناك خمسة عشر رأساً من الماشية، في العراء وكلها تحتاج إلى جمع. لكن حتى ولو استطعت معالجة هذا الأمر لوحدي، فلا جدوى منه من دون إصلاح الزرائب، وإقامة أسيجة، عدا عن الأبواب المقفلة. لقد مرت أسابيع على الموسم».

صمت قليلاً، ثم شد القبعة فوق رأسه وتابع: «وقد يلزمني أسابيع لأجد رجالاً لديهم الخبرة، ومستعدين للعمل لي. فماذا سأفعل في هذه الأثناء؟».

وسمعت ليزي نفسها تقول: «نستطيع إصلاح الكثير بأنفسنا».

واستدار ليحدق بها مندهشاً كما هي ثم سأل، كما سألت قبل قليل في غرفة الطعام: «نحن؟».

وكررت بوعي كلماته: «أنت وأنا.. فأنت من قال إنني تربيت في مزرعة».

وتردد.. فأكملت بشيء من نفاد الصبر: «قد لا أكون رجلاً، لكنني أفضل من لا شيء. أليس كذلك؟».

قال ببطء: «بل أفضل بكثير».

وكانت عيناه على وجهها المشرق تحت القبعة. أما عيناها الزرقاوان فبوحيان بالكثير من العناد والتصميم، وذقنها مرفوعة بشموخ.

فركت ليزي يديها وكأن المسألة سويت: «حسن إذن..».

حذرها: «سيكون هناك الكثير من العمل الشاق».

ـ وهل تظن أنني لم أصلح سياجاً من قبل؟ كنا نساعد والدنا في المنزل، وكان يصر على أنني وأيلي يمكن أن نقوم بكل شيء يقوم به شقيقنا. وما إن استطعنا ركوب الخيل، حتى خرجنا معه.. أنا لست مجرد وجه جميل، يجب أن تعرف هذا.

شيء ما، لم يكن ابتسامة كاملة، زاد من ظهور غمازتيه، وقال: «أعرف هذا، لكنني ظننتك ممن يفضلن طلاء الأظافر على اتساخ اليدين».

ـ عادة، نعم. لكنني لا أمانع وقت الضرورة.

قال: «لكنك لست مضطرة. أنت هنا كسكرتيرة اجتماعية، ولست عاملة مزرعة، وتصليح السياج لم يكن جزءاً من اتفاقنا».

ـ حسن جداً، أعرف. لكن لا سبب يدعو ألاّ أمد يد العون.

ونظرت إليه، محتارة من تردده في قبول عرضها: «ألا تريدني أن أفعل هذا؟».

ـ ليس الأمر هكذا، لكنني أتساءل لماذا تقومين بهذا.

وتساءلت هي أيضاً. ماذا تفعل، لماذا تورط نفسها في عمل مملٍ في المزرعة؟ وأخذ دماغها ينتقل من احتمال لآخر، واستقرّ على ردّ واحد: لن تستطيع تحمل نظرة الهزيمة في عيني رجل أثبت أنه قاس، ومتعجرف، ولا يهتم بمشاعر الآخرين.

وسارعت بالقول، في محاولة لتهدئة الاضطراب: «أنت تدفع لي الكثير من المال. والعلاقات العامة لن تكون مطلوبة كثيراً وأنت مشغول هنا. لذا، من الأفضل، أن أجعل نفسي مفيدة».

وتحولت إلى موضوع آمن أكثر: «أضف إلى هذا، أنني سأجن وأنا أجلس وحيدة في المنزل طوال اليوم. وواضح أنك لن تفعل شيئاً لحياتك الاجتماعية حتى تسيطر على الوضع في المزرعة. وقد تجد رجالاً يبحثون عن عمل في «الروديو» لكن هذا لن يحصل قبل أسبوعين، ونستطيع على الأقل أن نبدأ بالعمل حتى ذلك الوقت».

على الفور تلاشى التصلب من كتفي تاي. وابتسم لها: «حسن جداً. فلنفعل».

حاولت ليزي أن تبدو واقعية، لكنها في داخلها أصيبت بالخوف مما تملكها من اضطراب. ولم يكن السبب ابتسامته، ولو أنها وصلت إلى قلبها.

لا. الأمر له علاقة بالأسبوعين القادمين، اللذين ستمضيهما معرضة للحرارة والتعب والغبار ولن تهتم حقاً لأنها ستكون مع تاي.

ورنت أجراس إنذار في دماغها.

ألم يسبق لها أن سلمت أن التورط مع تاي فكرة سيئة؟ وأن الطريقة

الوحيدة لقضاء الشهرين القادمين هي أن تحافظ على علاقة مهنية سطحية معه؟ أوليس إلزام نفسها بالعمل معه في الصحراء الواسعة، آخر طريقة لفعل هذا؟

مع ذلك، فالوقت متأخر الآن للتراجع، وسوف تسأم لو بقيت وحيدة. وعوّلت على عدم القيام بأي عمل متعب، سوف تصلح السياج فقط.

استدارت لتعود إلى الشاحنة الصغيرة فمد تاي يده وأوقفها إياها: «ليزي؟».

ـ نعم.

ـ شكراً.

ولم يضف أيّ كلمة. بل صعد إلى السيارة بدوره، وانطلق بها إلى الامام. لكن ما قاله كان كافياً لجعل الدم يفور في شرايينها. وجلست تبتسم إلى جانبه، بسخافة، إلى أن أدركت ما تفعل. لن تفعل شيئاً سخيفاً. وذكرت نفسها بعناد.

هل ستفعل؟

* * *

www.elromancia.com

٧ ـ درس في الحب

بدأ العمل معاً في الزرائب ظهر ذلك اليوم، ولزمهما خمسة أيام أخرى من العمل الشاق قبل أن يصلحا الأعمدة المائلة، وتلك المكسورة منها.

سألت ليزي، وهي تقفل آخر بوابة: «أتظن هذا سينفع؟»

خلع تاي قبعته، ومسح جبهته بظهر ذراعه: «أعتقد هذا».

أخذا ينظران إلى الحظائر الخشبية الواسعة بحبور. بدت مختلفة تماماً عما كانت عليه قبل خمسة أيام. كان العمل شاقاً بالفعل، كما قال تاي، إلا أن ليزي لم تعبأ بذلك كثيراً إذ كانت متلهفة للقيام بعملٍ مفيد.

قالت: «ربما يجب أن نجمع بعض رؤوس الماشية وندفعها إلى الداخل. كتجربة. لنتأكد من أننا لم نترك أي فجوات؟».

ونظرت بأمل إلى تاي وصمتت فجأة: «لماذا تنظر إليّ هكذا؟».

ضحك، قائلاً: «كنت أتذكرك في عرس أختك. لم أتصور حينها أن امرأة تنتعل مثل حذائك ذاك، تستطيع أن تهتم ببضع حظائر فارغة!».

ـ الأمر مضحك. أليس كذلك؟ لو سألتني منذ شهر مضى عما إذا كنت أحب أن أقضي خمسة أيام في إصلاح زريبة للماشية، لقلت لا بالتأكيد، ولفضلت بحزم أن أبقى في مكتبي النظيف الأنيق، متنعلة حذاءاً جميلاً وغير قلقة على طلاء أظافري.

مدت يدها تتفحص أظافرها المكسورة المتسخة، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامه خشنة: «كنت أتذمر كالمجنونة حين يرسلني والدي في مهمة. وظننت أنني لن أقرب هذا العمل مرة أخرى، لكنني هذه المرة، تمتعت فعلاً».

ـ لقد قمت بعمل جيد. وسيكون والدك فخوراً بك، فأنت بالفعل، عاملة مخلصة.

رمقته ليزي بنظرة من تحت رموشها: «وهل ظننت أنني لن أكون كذلك؟».

ـ لا. لكنني ما كنت سألومك لو تركتني من أول يوم عمل.

ـ ماذا. وأخسر كل هذه المتعة؟

ـ لا أعتقد أنه كان هناك الكثير منها.

تظاهرت ليزي بالتفكير بالأمر: «لا أعرف. ماذا عن ذلك الوقت الذي أصبت فيه إبهامك، وأوقعت المطرقة على إصبع قدمك؟».

رد بجفاء: «أنا مسرور لأنك تمتعت بالمشهد».

ردت ممازحة: «قد يحتاج السيناريو إلى إعادة صياغة من أجل المتفرجين من العائلة».

وتذكرت كلامه وهو يقفز أمام الزريبة.

ـ لكنه، على أيّ حال كان معبراً جداً!

ضحك. وطار قلبها، ليتخبّط في صدرها.

قال يدافع عن نفسه: «لم أستخدم مطرقة منذ سنوات».

وتمكنت من الرد من دون ثبات كبير: «أعتقد أنك في «جي سي أس» معتاد على من يضرب عنك بالمطرقة».

تلاشت ابتسامته واستند إلى السياج وعلى وجهه إمارات التفكير: «أعتقد هذا. أتعرفين. حين تصورت نفسي أعود إلى بارا، لم أعتقد أبداً أنني سأقوم بأي عمل. كنت أتخيّل نفسي أركب الجواد وأتجول

متفقداً القطيع، تاركاً كل العمل المتسخ لشخص آخر.. وأنا سعيد أن الأمر لم يتم على هذا النحو.. إصلاح هذه الزرائب، وبناء شيء حقيقي.. منحني إحساساً غامراً. لقد مضى زمن طويل منذ قمت بعمل كهذا».

ذكرته: «لقد بنيت جي سي أس.. وهذه حقيقية».

نظر إلى البعيد: «حقاً؟».

ـ أعتقد أنها تبدو حقيقية تماماً لكل من يعمل معك، وإلى الملايين في العالم الذين يستخدمون تكنولوجيا شركة جي سي أس كل يوم.

استدارت لتسند ظهرها إلى السياج قربه: «وماذا عن دولاراتك في المصارف؟ ألا تشعر أنها حقيقية؟».

رد بعناد: «الأمر مختلف. أنا لم أندم على أي عمل قمت به. بناء شركة مثل جي سي أس كان تحدياً كبيراً، وكلما تضاعفت المخاطر كلما ازدادت الإثارة. لكن هذا لا يشبه إمساك آلة حادة.. لقد نسيت كيف أستخدم يديّ في عمل شاق».

رأته يتفحص يديه المتسختين، ذات المعصمين القويين والأصابع الطويلة.. عندما تتذكر كيف لامست هذه الاصابع بشرتها، تسري الرجفة من دون إنذار في جسمها.

قال تاي: «إنه إحساس جيد».

استوت ليزي فجأة، مبتعدة عنه، وقال: «من الأفضل أن نعود».

وصعد تاي إلى مقعد السائق، لكنه لم يدر المحرك فوراً.

قال، وكأن الكلمات تخرج بالرغم منه: «كنت أفكر».

ـ بماذا؟

ـ بالوظيفة التي تريدين الحصول عليها.

عبست ليزي، وراجعت لائحة الوظائف التي طمحت إليها.. ولم تتذكر أنها فضلت واحدة على أخرى.. إلا إذا كان يعني جمع المواشي؟

وسألت بحيرة: «أيها؟».

ـ تلك التي في لندن.

لزمها بضع لحظات لتفهم ما يرمي إليه. إنه يعني ذلك المركز الفخم الذي ستحصل عليه بعد أن تجد له زوجة مناسبة.. العمل في الحظائر، جعلها تنسى هدف وجودها في باراكريك.

لكن، من الواضح أن تاي لم ينس.

قالت: «أجل.. تلك الوظيفة».

ـ إنها لك.

كانت ليزي تنظر أمامها مباشرة، لكن بعد سماعها هذا الرد، استدارت في مقعدها ونظرت إليه بذهول: «ماذا؟»

ـ حين ننتهي من كل هذا، يمكنك السفر إلى لندن.

أجبرت نفسها أن تسأل: «وماذا عن زواجك؟».

بدا أنه بحاجة لإقناع نفسه: «لا زلت أحتاج إلى هذا. والمال الإضافي الذي عرضته عليك متوقف على زواجي قبل شهر حزيران.. لكن الوظيفة أصبحت لك، مهما كانت النتائج».

نظر إلى وجه ليزي الذاهل ثم تحول عنه إلى المقود، قائلاً: «أعتقد أنك تستحقين هذا.. لقد عملت بمشقة في الأيام القليلة الماضية، وهذا ليس ما جئت من أجله».

كان عليها أن تشعر بالإثارة، لكنها أدركت، أن من الصعب عليها ألاّ تشعر بالأسى لفكرة ترك بارا، والقبول بوظيفة في مدينة غريبة.

قال منعشاً ذاكرتها: «قلت إنك تريدين العمل في لندن.. بإمكانك الذهاب والتمتع بالصيف هناك».

من الواضح أنه لا يستطيع الانتظار طويلاً ليتخلص منها.

وأجبرت نفسها أن تبتسم: «عظيم.. شكراً».

كان من المناسب أن يذكرها تاي بالغرض الحقيقي لوجودها في

بارا. قالت هذا لنفسها وهي تستلقي تلك الليلة في الفراش. كانت قد نسيت، ولن ينفع هذا أبداً.

نظرت إلى السقف في العتمة، وكافحت لتتذكر كم كانت مترددة بالمجيء إلى بارا. وكم احتاجت لتقتنع بقبول هذا العمل الغريب، الذي عرضه عليها تاي. أعذارها لا تزال كما هي.. مثل أعذار تاي تماماً..

ما زال تاي بحاجة إلى زوجة.. وما زال عملها أن تجد له واحدة، ومن الأفضل أن تبقي هذا في تفكيرها، وبحزم.

وبمرور الوقت، وجدت ليزي صعوبة أكبر وأكبر في أن تتذكر.. فقد غرقا في الروتين اليومي.

وفي كل ليلة كانت تنظر في المرآة، وتجد صورتها غريبة تماماً. هل هذه حقاً هي.. تلك المرأة بأحمر الشفاه الصارخ والحذاء الغريب؟ وتتذكر أنها منذ أسبوعين فقط، كانت تنتعل حذاء مماثلاً طوال اليوم.

لقد بذلت ليزي خلال عشرة أيام جهداً أكبر مما بذلته طوال حياتها. ولعل هذا هو سبب إحساسها بالنشاط والحيوية.. ولا علاقة له أبداً بوجود تاي إلى جانبها، مبتسماً ابتسامته المعتادة.

وشعرت بأنها تختبر المكان لأول مرة، بالرغم من أنها كبرت في هذه الأماكن النائية. وأحست بأنها لم تشم من قبل رائحة الأرض الجافة، أو رائحة العشب وهو يسخن في حرارة الشمس.

كانا يكتشفان كل يوم المزيد من المشاكل.. فتتألم لأن الموسم سينتهي، قبل أن تتاح لتاي فرصة جمع المواشي.

كان هناك الكثير من العمل.. لكن عندما تصرح بهذا لتاي، يرد بأنه عليهما أن يعالجا الأمور خطوة خطوة.. وذهلت ليزي جداً لرؤيته مسترخياً، فمن الصعب التصديق أحياناً أن هذا هو الغريب الأسمر الساخر الذي دخل عرس إبلي.. ويوماً بعد يوم، كانت نظرات الحذر تتلاشى عن وجهه.. والخطوط الخشنة تلين.. والالتواء الساخر يختفي

عن فمه.. واليقظة الشديدة تزول من عينيه.

جلست ليزي يوماً تراقبه وهو يجثو قرب النار، يحرك الجمر لإيقاد شعلة تحت إبريق الماء. كان بنطلونه مغبراً، وقميصه مرفوع الكمين ليكشف عن ساعديه القويين. أما قبعته فتظلل عينيه، لكن أشعة الشمس تنير أسفل وجهه، واستطاعت أن ترى زاويتي فمه المرفوعتين.. ولم يكن يبدو ذلك الطاغية القاسي، بل أصغر سناً وسعيداً.

تلوى شيء ما داخل ليزي، فقامت بحركة لا إرادية. رفع تاي رأسه، والتمعت عيناه، تحت ظل القبعة.

سأل: «ماذا؟».

ردت بسرعة: «لا شيء».

وأشارت بيدها مع شيء من الإحباط: «كنت فقط أفكر بجمال هذا المكان».

نظر تاي حوله، وكانا قد توقفا للغداء قرب جدول ماء صغير.

سمعته يقول ببطء: «أذكر أنني جئت مرة إلى هنا مع أمي».

كانت هذه المرة الأولى التي يذكر فيها طفولته، ولم تستطع مقاومة الفرصة لتكتشف المزيد.

سألت بفضول: «وكيف كانت؟».

ـ أمي؟

أخذ ينفخ في النار ويفكر بالسؤال: «كانت جميلة جداً، ولعوباً ولا تناسبها مطلقاً الحياة في الصحراء. جاءت من انكلترا في زيارة، وكانت لها فكرة رومانسية سخيفة عن الحياة في المزرعة.. تزوجت أبي بعد حب عاصف، لكن هذا الحب لم يدم طويلاً بعد أن أحسّت بالصمت والحرارة والعزلة».

وأخذ يعبث بالحجر وكأنه يتذكر: «ومن المدهش حقاً، أنها استطاعت أن تبقى المدة التي بقيتها.. وكتمت ما في نفسها ثماني

سنوات. بعد ذلك أدركت أنها لن تتحمل المزيد، فعادت إلى انكلترا.. وكنت في السابعة من عمري».

بدا كلام تاي تقريراً لأمر واقع. لكن قلب ليزي تهاوى قلقاً على الصبي الصغير. كان وحيداً عندما القت أمه بمسؤوليته على عاتق أب مستبد.

قالت: «أنا لا أفهم كيف تستطيع فعل هذا!».

وتساءلت لماذا يبدو تاي وكأنه يحتفظ بكل مرارته ضد أبيه، وليس ضد أمه التي تركته وهو أكثر حاجة إليها.

ـ لماذا لم تأخذك معها؟

هز كتفيه دونما اكتراث: «كانت تعلم أنني أنتمي إلى بارا حتى في ذلك الوقت، وسأكون بائساً في انكلترا.. ذهبت منذ سنوات لأراها، قبل أن تموت، كانت قد تزوجت مجدداً، ونعمت بالسعادة. كانت أمي بحاجة للناس، ولا عجب أنها عاشت بائسة هنا! لا بد أن بارا بدت وكأنها الكابوس الذي عاشته. فهي حين لا تقوم بنشاط اجتماعي، تتبضع أو تتناول الغداء مع أصدقاء.

هشمت ليزي حفنة من الأوراق اليابسة بين أصابعها، وقالت دونما ارتياح: «تبدو مثلي».

نظر تاي إليها.. كانت تستند إلى جذع شجرة، وساقاها الطويلتان ممدودتان أمامها، وقبعتها على الأرض إلى جانبها. شعرها الأشقر الكثيف الأملس، معقود على قمة رأسها، ولطخات الغبار تملأ وجهها.. كانت نظرتها زرقاء دافئة، مضطربة قليلاً، لكن فمها العريض مبتسم.

قال: «لا.. لم تكن أمي مثلك أبداً».

اطمأنت ليزي بطريقة ما، وسألت: «لماذا تزوجت والدك إذا كانت اجتماعية إلى هذا الحد؟ لا بد أنها عرفت أنها ستشعر بالوحدة هنا».

أسرت العينان الرماديتان عينيها: «لقد أقنعت نفسها أن حبها عظيم، وأن هذا يكفي، وسرعان ما اكتشفت أن هذا غير صحيح. كان والدي يحبها على طريقته، لكنه كان شديد الغيرة إلى حدّ مرضي، فجعل حياتها بائسة. ولا يلزم الحب الجامح كثيراً ليتحول إلى استحواذ.. وحب كهذا مدمر في العادة».

بدا وكأنه يحذرها، فأشاحت بنظرها عنه، وتركت الأوراق الجافة المسحوقة تنسل من بين أصابعها.

ـ لا عجب أنك لا تؤمن بالحب، مع أبوين مثلهما.

ـ ومن قال إنني لا أؤمن بالحب؟

ـ وهل تؤمن به؟

ـ طبعاً، لكنني لا أؤمن أنه يدوم.

أخذت ليزي الكوب الذي أعطاه لها، وسألته: «أبداً؟».

جلس على قطعة حطب ووضع الكوب بين ركبتيه: «ليس حسب تجربتي».

كانت ليزي تعي بلهفة قربه منها. كل ما عليها أن تفعله، هو أن تميل جانباً، وتريح خدها على ساقه.

كتمت ليزي أنفاسها، مع سريان رجفة صغيرة في جسمها، وتحركت بعيداً عنها. ونظرت إلى حذائه الثقيل المغبر، ثم سألته: «إذن، لقد وقعت في الحب، وظننت أنه سيدوم إلى الأبد؟».

ظنت أنه لن يرد، لكنه اعترف أخيراً: «مرة واحدة».

ـ ما كان اسمها؟

ـ ساشا.

أدار الاسم في فمه وكأنه يتذوق الذكرى: «كانت جميلة، فتاة من النوع الذي يدير رؤوس الرجال.. لكنها كانت أكثر من هذا، فاتنة هي الكلمة المناسبة التي تنطبق عليها. شعرها أسود طويل كالحرير..

وعيناها الخضراوان أجمل ما رأيته في حياتي، وحين كانت تبتسم. . .».

وصمت، لينظر من دون أن يرى إلى ما وراء الجدول.

ـ حين كانت تبتسم. . كل ما يستطيع المرء أن يفكر به، هو كم يتمناها.

عبست ليزي وهي تنظر إلى كوب الشاي، لقد سألته فقط عن اسم. . لا عن وصف مفصل. وتمنت لو أنها لم تسأل، فقد راح تاي يهذي بذكر جمال ساشا ومدى اغراءها الذي لا يقاوم.

ـ كنت مجنوناً بها، كنت قد أقسمت ألاّ أتزوج حين تركت منزل أبي. لكنني طلبت منها الزواج يوم التقيتها.

بدت ليزي مغتاظة وهي تقول: «يبدو هذا رومانسياً قليلاً بالنسبة لك».

كرر من دون حاجة: «كنت مجنوناً بها، وهي أول حب حقيقي لي. ظننت حقاً أنها ستكون حبي الوحيد، لكنها كانت. . حبي أنا الكبير!».

وتغيرت لهجته إلى السخرية.

فسألت ليزي بانزعاج: «إذن. . كم دام هذا الحب الكبير؟».

ـ إلى أن ارتكبت غلطة فخسرت كل مالي.

وشرب بعض الشاي، غير متأثر على ما يبدو بالذكرى، ثم أضاف:

ـ انهارت أول شركة لي بعد شهرين من لقائنا وخسرت كل ما أملك، بما فيه ساشا.

ذعرت ليزي: «لكن هذا فظيع! أتعني أنها كانت مهتمة بمالك فقط؟».

نظر إليها، وعلى وجهه أمارات المرح: «لا تبدي الصدمة هكذا! فالرجل لا يقترب من فتيات مثل ساشا إلا إذا كان ثرياً، وهن لا يجلسن في المنزل يؤازرن الرجل حين تسوء الأمور. إنهن مهتمات فقط بإظهار مدى نجاحه. . ساشا كانت معجبة بي، أنا واثق من هذا. . لكن طالما

بقيت شخصاً رفيع المقام».

ـ ألم تشعر بالمرارة حين هجرتك؟

ولم تكن واثقة أنها تريد معرفة الرد.

لوى شفتيه اشمئزازاً: «لقد صحتُ، وهذرت لأسبوع أو أكثر. . ثم انطلقت لأجمع الثروة مجدداً. أعطتني ساشا درساً قيماً، وكان عليّ أن أستوعبه يوماً».

ـ لا يمكنك القول إن الحب لا يدوم لمجرد أنك عشت تجربة سيئة، لسن جميعاً مثل ساشا.

قال: «حتى الفتيات اللطيفات يغيرن رأيهن، وأنت فسخت خطوبتك كما فعلت ساشا».

احتجت: «كان الأمر مختلفاً! فأنا لم أكن أدّعي حبّ ستيفن بسبب ما أستطيع الحصول عليه منه! أحببته، وكان رؤوفاً، ودوداً، حساساً، ورفيقاً رائعاً. . وكل الاشياء التي أريدها في رجلي، لكنني لم أكن أحبه بما يكفي، أو ليس بالشكل الصحيح».

وهشمت الأوراق بين أصابعها مجدداً ثم قالت لتاي متحدية: «حين أقع في الحب، الحب الحقيقي، لن أغير رأيي. حين أقع في الحب، سيكون هذا أبدياً».

أحست به يهز رأسه، من دون أن تراه: «من الأفضل أن تقعي في حب شخص يشعر بالشيء ذاته. . أو سينتهي بك الأمر إلى خيبة أمل».

نظرت ليزي إلى أوراق الشجر في يدها، وحاولت تصور الرجل المثالي الذي سيدخل حياتها يوماً ويصحح المسار. لكن، كل ما استطاعت أن تراه، هو وجه تاي الأسمر المتجهم بعينيه المدمرتين وابتسامته التي تهز القلوب.

لم يكن هناك جدوى من التفكير بأن تقع في حبه، ونفضت أوراق الشجر من يديها والفكرة كلها معها. . حتى وإن لم يصرح تاي أنه لا

يبحث عن الحب، إلا أنه لا يمت بصلة إلى فارس أحلامها. . وعليها أن تفعل ما قاله بالضبط، أن تقع في حب شخص قادر على مبادلتها المشاعر ذاتها.

قالت: «سأفعل هذا».

وفيما بعد، تساءلت عما إذا كانت قد بدت أقل ثقة بكثير مما يجب.

* * *

رمت ليزي السلك الشائك صارخة ورفعت يدها إلى فمها.

رفع تاي رأسه بحدة، وسأل بقلق: «ماذا فعلت؟».

ـ لقد علق إصبعي في السلك الشائك.

ـ دعيني أرَ.

وسحب يدها من فمها، يتفحص الجرح الذي امتد من إبهامها إلى رسغها. لم يكن الجرح عميقاً، لكنه بدا أحمر ملتهباً، والدم يسيل منه. . فقطب.

ـ كان يجب أن ترتدي قفازاً، يبدو جرحاً موجعاً.

ـ إنه على ما يرام.

كانت يداه باردتين متمكنتين. . فجذبت يدها بعيداً، وانحنت تلتقط السلك الشائك مجدداً. . فأبعدها عنه.

ـ هاك. . سأفعل هذا بنفسي.

وأنهى ربط السلك الشائك بالعمود، بينما وقفت ليزي تراقبه بشيء من الامتعاض. كانت تحاول أن تتعامل مع هذا السلك اللعين طوال اليوم، وها هو الآن يحيله إلى أداة طيعة.

بعد أن انتهى، رمى تاي المعدات في الشاحنة. . فقالت بدهشة: «لم ننته بعد».

ـ لقد انتهينا اليوم.

ـ لكنها الساعة الثالثة فقط!

فتح لها باب السيارة: «اليوم هو السبت. . وأنت تعملين منذ عشرة أيام من دون توقف، وأعتقد أنك بحاجة إلى عطلة بعد الظهر».

سألت وهي تصعد إلى السيارة: «وماذا ستفعل؟».

ـ سوف أتأكد أولاً من أن جرحك نظيف.

وجلس إلى جانبها: «ثم، سأفعل ما كنت أنوي أن أفعله منذ عدت إلى هنا».

هزت رأسها، لعل الوقت حان ليتصل بمركز شركته الرئيسي.

ـ لا بد أنهم قلقون الآن في سيدني.

ذكرها تاي: «اليوم نهاية الأسبوع، ولا جدوى من الاتصال بأحد اليوم. على أي حال، أنا لا أريد هذا. . لدي فكرة أفضل».

نظر إلى ليزي جانبياً، وابتسم فجأة لتعبير وجهها المحتار، وسألها: «ما رأيك بالسباحة؟».

سألته ليزي بعد ساعة: «هل أنت واثق من أنك تعرف وجهتك؟».

كانا قد تركا الشاحنة قرب الطريق الترابي. . وبعفوية أمسك تاي يدها السليمة ليمرا بين أشجار الصمغ العريضة. ومع أنها كانت قادرة على سحب يدها بسهولة، إلا أنها أحست بالسخافة لو فعلت.

أحست بأصابعه حول يدها. بدا مهتماً بما يحيط به، ونسي على الأرجح أنها معه، وهذا سبب آخر لرغبتها في التأكد من أنهما لم يضلا الطريق وسط الدغل.

انحنى تحت غصن: «واثق تماماً. . هذه أرض قديمة، ولن تتغير في عشرين سنة، نكاد نصل».

وبعد لحظات برزت أمامها بركة ماء جميلة غير متوقعة، فشهقت ليزي. كانت المياه المجتمعة بين الصخور الحمراء، عميقة وصافية، وسطحها المصقول كالمرآة، يعكس السماء الزرقاء وأغصان شجر

الصمغ الفضي، التي تميل فوقها.

هز تاي رأسه، سعيداً بردة فعلها: «لقد أمضيت أوقاتاً طويلة جداً هنا وأنا صغير. ولطالما اعتبرت هذا المكان وكأنه مخبئي السري».

وأحس فجأة، أنه لا يزال يمسك بيدها، فتركها. تظاهرت أنها لم تلاحظ، وجثت عند حافة الماء ودست أصابعها فيه.

- إنه مكان جميل.

ورفعت نظرها إلى تاي مبتسمة، وهي تسحب يدها من الماء، الذي تطايرت قطراته. وتوهجت تحت أشعة الشمس الساطعة.

قال، من دون أن يبعد عينيه عن وجهها:

- أجل. إنه جميل!.

تلاشت ابتسامة ليزي بعد أن سقطت الحواجز بينهما. كانت تحس ببلل يديها، وقسوة الحر، والصمت الذي يمتد حولهما. ومن دون أن تعي ما تفعل، استوت واقفة.

أخذ تاي نفساً عميقاً، وبدا أنه سيخطو متقدماً نحوها، لكنه غير رأيه في آخر لحظة، والتفت بعيداً ليقول بخشونة: «تعالي. دعينا نسبح».

خلع قميصه، فابتلعت ليزي ريقها لمنظر جسده القوي النحيل. واجتاحتها موجة من الأحاسيس جعلت ركبتيها تضعفان، فانهارت فوق صخرة.

أحنت رأسها تتظاهر إنها تخلع حذاءها، وقاومت الدوار الذي تملّكها. لم تعد تبصر سوى قدميه الحافيتين على الصخر الأحمر الدافىء، لكن مخيلتها ملأت الفراغ.

حين أصبحت أخيراً مستعدة، أحست أنها مكشوفة جداً. وكل ما أرادته، أن تعود إلى ارتداء ملابسها مجدداً. ولم يكن ثوب السباحة

التركوازي اللون فاضحاً. لكن، تحت نظرة تاي الثاقبة، أحست وكأنها عارية. تجنبت عينيه، وغطست أطراف أصابع قدمها في الماء.

- المياه باردة.

- لا جدوى من الوقوف وتفحص الماء، يجب أن تقفزي إليه.

صعد فوق الصخرة بخطوتين سهلتين، ثم استدار لينظر إلى ليزي، المترددة:

- ألن تأتي؟

رفعت نظرها إليه، مدفوعه برغبة عارمة في مرافقته، والخوف مما يمكن أن يحدث لو حاول الاقتراب منها. لن تتمكن من المقاومة. فقد بدأت تشعر بأن سيطرتها على نفسها تتلاشى. سيكون من السهل جداً أن تدفن نفسها في جسده القوي. أن ترتمي بين ذراعيه.

ناداها من فوق الصخرة:

- ما المشكلة؟

ولم تستطع الاعتراف. وهل تستطيع؟

سألت بصوت مرتجف:

- ماذا عن التماسيح؟

وأملت أن يعتقد أنها ترتجف خوفاً.

- لم يعد هناك تماسيح منذ عشرين سنة. دعي عنك الحجج.

صعدت إلى الصخرة بحذر لئلا تضطر إلى الإمساك بيده. عند القمة، أشاحت عينيها عنه، ونظرت من فوق الحافة، وبدا لها أن المسافة أعلى بكثير مما بدت لها وهي تحتها. فازداد توترها.

قالت: «هل أنت واثق أن هذه فكرة جيدة؟».

ومن دون أن يتنازل كعادته قال: «أجل».

وقف عند الحافة قربها، طويلاً، صلباً، ومد لها ذراعه: «أعطني يدك».

بالطبع، يجب ألا تفعل هذا.. يجب أن تقول إنها لا تريد أن تسبح، يجب أن تعود إلى أسفل الصخرة وترتدي ثيابها لتبتعد عن الخطر..

لكن ليزي لم تفعل هذا، ومدت يدها إليه. وبلمسة واحدة هدأت أعصابها، وتلاشت الشكوك.. وغدت سعيدة، لأنها لا تزال على قيد الحياة.

قال: «سنقفز معاً.. هل أنت مستعدة؟».

ـ أجل.

ـ واحد.. اثنان..

صاحت ليزي بمزيج من الهياج والرعب وهما يقفزان عن الصخر يداً بيد: «ثلاثة!».

وسقطا معاً في المياه الصافية. وأفلت تاي يدها، وهي تختفي تحت السطح. كانت المياه باردة جداً.. باردة بحيث شهقت لتتنفس، وهي تنفض الشعر عن عينيها، وتضحك بابتهاج صرف.

نظرت حولها تبحث عن تاي، فوجدته إلى جانبها، شعره ملتصق برأسه، وعيناه تصطبغان بلون فضي، فيما اخفى نور الشمس رموشه السوداء. وكان يضحك كذلك، أسنانه قوية وبيضاء مقارنة مع بشرته السمراء القاتمة.. وعندما أرجع شعره إلى الوراء عن وجهه، شعرت ليزي أن قلبها توقف.

أقنعت نفسها أن السبب برودة الماء، لكنها كانت تعرف أن هذا غير صحيح. كانت تعرف أن حركة واحدة ستوصلها إليه.. ويمكنها عندئذٍ أن ترتمي بين أحضانه.. وأحست ليزي بنفسها تتوهم وغاصت تحت الماء مجدداً، تحمل نفسها على السباحة في الاتجاه المعاكس.

حسن جداً.. السبب إذن ليس المياه الباردة، بل مشاعر صريحة، وغير معقدة. وسبحت ليزي، متظاهرة بالسرور، تضع نصب عينيها

حقائق الموقف. أما تاي فكان ساخراً، معتداً بنفسه، وأنانياً لا يهتم سوى لبارا.. وإذا ما تورطت معه أكثر، فتكون كمن يسعى وراء المتاعب.

كل هذا مجرد تجاذب جسدي على أيّ حال، ويجب أن تتجاهله، وتستمر في القيام بما جاءت إلى هنا من أجله.

* * *

www.elromancia.com

٨ ـ تحدي الموت

كانت المياه باردة جداً ليمكث المرء فيها طويلاً. وراقبت ليزي وهي ترتجف، تاي يخرج منها.. أخذت نفساً حاداً متقطعاً عندما حدقت في ظهره، والماء عليه. وتطلعت حولها راغبة في طريقة للخروج، كي تستطيع النهوض والاسراع إلى ارتداء ملابسها.

أخذت تسبح والأمل يحدوها، لكن، سرعان ما اتضح أنها إذا لم ترغب في أن تتجمد، فإنها ستضطر إلى الإمساك بيد تاي مرة أخرى. وهكذا سحبها من الماء بحركة واحدة من دون جهد يذكر، وحطت على الأرض متعثرة، لتستند إليه.

كانت على وشك تجاهل المشاعر التي أحست بها.. ألم يكن هذا ما قررته؟ ألم تقل لنفسها «لا مشاكل؟».

قال تاي: «أنت ترتجفين».

تجنبت عينيه، وتمتمت:

ـ أشعر بالبرد.

ولفت ذراعيها حولها، وتساءلت كيف يمكن أن تشعر بمثل هذا البرد من الخارج فيما هي تشتعل من الداخل.

ـ اجلسي في الشمس قليلاً.. وسرعان ما تشعرين بالدفء.

الدفء كان آخر شيء تريده، لكنها استلقت على الصخر الذي اختزن حرارة النهار، وأصبح ناعماً بمرور الأيام. وضعت ذراعها فوق

عينيها، وكأنها تحميهما من وهج الشمس، لكنها في الواقع تصد عنها رؤية تاي المتمدد إلى جانبها.. وركزت على أخذ أنفاس عميقة بطيئة.

تجاهلت تسارع نبضاتها.. تجاهلت الإحساس بالألم في معدتها، وتجاهلت التواء الأعصاب تحت بشرتها...

وتوقفت ليزي عن الارتجاف، لكن الصمت الذي ساد كان مزعجاً حقاً، وفكرت بشيء تقوله..

في النهاية، تكلم تاي أولاً: «لو أنهينا هذا السياج غداً، سنتمكن من الانتقال إلى الحظيرة التالية».

نظرت إليه من تحت ذراعها، فرأت أنه يحرك كتفيه ليستقر براحة أكبر على الصخر.. بدا جلياً أنه يتابع سير أفكاره الخاصة، واستاءت بشكل سخيف من قدرته على الاسترخاء هكذا.

وتابع: «ونستطيع اصلاح نقاط الشرب هناك و..».

قاطعته بحدة أكثر مما تنوي: «غداً يوم الأحد».

سألها بكسل: «وإن يكن؟».

رفع رأسه ينظر إليها.. وبسرعة أعادت ذراعها فوق عينيها.

وقالت: «هناك «الروديو» في ماتيسون.. ما زلت تريد زوجة.. أليس كذلك؟».

ساد صمت صغير، وقال تاي: «أجل».

ـ يجب أن نذهب.. الجميع سيكون حاضراً، وهي فرصة جيدة للقاء الناس.

وأملت أن تبدو مبتهجة بشكل لائق، إذ لم تشأ أن يعرف تاي أنها تفضل أن يكملا تصليح أماكن الشرب.

تابعت كلامها: «أعتقد أنني يجب أن أعرف عما تبحث تماماً، ولا أريد إضاعة الوقت وأنا أقدمك إلى حمراوات الشعر مثلاً إذا كنت تفضل الشعر البني.. هل فكرت بالفتاة التي تريد أن تتزوجها؟».

www.romancia.com

قال: «من المضحك أن تقولي هذا، لأنني فكرت بهذا كثيراً. . وأعرف بالضبط ما أريد».

وارتبكت ليزي، وغضبت قليلاً.

عندما كانت تذل نفسها بإصلاح سياجاته، كان هو يفكر بكل هدوء في الزوجة التي ستعجبه!

قالت: «حسن جداً. . هذا سيسهّل الأمر».

ـ أرجو هذا.

بهتت قليلاً للدعابة الواضحة في صوته: «وماذا تريد؟».

سمعته يتحرك إلى جانبها. . لم تكن تراه لكنها أحست أنه يستند إلى مرفقه، ويتطلع إليها.

قال: «لا أعتقد أنها فكرة جيدة أن تكون زوجتي صغيرة جداً في السن. . كنت أفكر بأن امرأة في الثلاثين ستكون مناسبة لي».

وصمت، وزاد المرح في صوته: «لنقل في الثالثة والثلاثين».

وبدأ قلب ليزي يخفق بقوة، واستلقت جامدة، ليتابع بنعومة: «شقراء ستكون جيدة. أجل، أعتقد أني أريدها قطعاً شقراء، ولها جسد دافىء، وساقان تمتدان إلى ما لا نهاية».

مد يده يمسك معصم ليزي ويبعد ذراعها عن وجهها، بحيث اضطرت إلى النظر إليه، جافة الفم.

قال بصوت منخفض جداً: «أريد فتاة لطيفة. . وعاملة مخلصة».

ومال فوقها، يبتسم، ويصد الشمس عنها، وهو لا يزال يمسك معصمها. رفع يدها ونظر إلى الجرح الذي يزال أحمر دامياً.

وقال: «فتاة من النوع الذي يصلح السياج، ولديها أثر جرح لتثبت هذا».

وقبّل مكان الجرح، ثم سأل: «هل تعرفين أحداً بمثل هذه المواصفات ليزي؟».

أطلقت ليزي تنهيدة مرتعشة متهدجة. . وأشاحت بوجهها بعيداً، في محاولة لاخفاء ردة فعلها.

قال يستفزها: «لا؟ . . أنا أعرف. . أعرف واحدة هكذا تماماً».

وأكمل يهمس في شعرها:

ـ امرأة لها عينان زرقاوان، امرأة تبتسم وهي نائمة. . امرأة. .

وضاعت ليزي، ولم يعد هناك جدوى من المقاومة. أقنعت نفسها بهذا وهي تصاب بالدوار وتستسلم للإثارة، ولفت ذراعيها حول عنق تاي. .

همس، بصوت مرتجف: «تزوجيني ليزي، سنكون متآلفين معاً. . أنت تعرفين هذا».

أجل. . هذا ممكن. . كانت مشاعرها تدفعها للقبول. إنه على حق. . يمكن أن يكونا. . أوه. . سعيدين جداً. . معاً.

وتابع: «قولي إنك ستتزوجيني. . قولي نعم، قد لا يكون هذا حلمك، لكنه يكفي. . أليس كذلك؟».

أغمضت ليزي عينيها، تحاول تهدئة رد فعل جسدها. كان كل شيء فيه يحترق شوقاً إلى تاي. . من السهل عليها أن تقول نعم. وإذا ما اعترفت بذلك، فلن تستطيع صدّ جموح تاي.

وحثها جسدها على القبول.

فإن وافقت، ستتمكن من البقاء في بارا، وستكون مع تاي كل يوم، وكل ليلة. ألن يكون هذا كافياً؟

وألح تاي:

ـ قولي نعم.

أمه قالت نعم، وتسلل البرد إلى قلب ليزي. هيلين غيبسون خلطت خطأً ما بين كيمياء الجسد وبين الحب. . ودفعت الثمن. . فهل تريد أن تحذو حذوها؟

قد يرضيها تاي جسدياً.. لكنهما لا يستطيعان قضاء الوقت كله في الفراش.. إنهما يريدان أشياء مختلفة. هو يريد بارا.. وهي تريد الحب.

قال، وكأنه قرأ أفكارها: «سأعطيك كل شيء.. ولن تحتاجي إلى الحب».

فردت بانكسار: «بل أريده.. أحتاج إليه.. إنه ما أحتاجه بالضبط».

رفع رأسه ينظر إليها: «أنت تريدينني ليزي، أشعر بهذا حين ألمسك.. حين أعانقك.. ألا يعني هذا لك شيئاً؟».

ردت بصعوبة: «هذا لا يكفي».

وبدا أنه لا يصدق ما تقول: «ألن تتزوجيني؟».

هزت رأسها وهي تهمس: «لا».

وعرفت أنه لن يسألها مرة أخرى.

وتصلبت عضلات وجهه، وابتعد عنها: «إني أفهم».

جلست ليزي، تشعر بالبؤس: «أنا آسفة تاي.. أنا فقط..».

قال: «إنسي الأمر.. كان هذا مناسباً، هذا كل شيء».

وفكرت بمرارة: مناسب جداً، زوجة جاهزة، مستعدة لرؤية المحامي لتنفيذ الوصية. مراسم زواج سريعة هادئة، وستكون بارا له، وتعود له أملاكه، وينسى أمرها. أجل، إن الأمر مناسب جداً له هو، بالذات.

وقال: «يبدو أنه من الأفضل أن أذهب إلى ذلك الروديو».

قالت تعده: «سأذهب معك.. لن أتزوجك، لكن هذا لا يعني أنني لن أساعدك».

رد بطريقة بغيضة: «هذا عمل كريم منك.. وأنا واثق أن لا علاقة له بأول أجر تستحقينه».

ـ لا.. سأفعل هذا لأنني أعرف كم تعني بارا لك.. أنت لا زلت بحاجة إلى زوجة.. وسوف أساعدك في الحصول على واحدة.

* * *

ـ ليزي؟

وطار قلبها لسماع صوت أمها.

وخفت تقبلها: «مرحباً أمي».

ـ ظنناك في بيرث!

استدار تاي بدوره.. تعبير الذهول على وجه أمها تغير إلى فزع مضحك.. قال مجيباً إياها ببرود: «سيدة واكر».

وتنقلت نظراته بينهما، وقال: «سترغبان في الحديث لوحدكما».

وتركهما مبتعداً قبل أن تستطيع ليزي الاعتراض.

نظرت ليزي إليه وهو يبتعد، بمزيج من الارتياح والأسى، وتمنت لو لم تذكر له هذا الروديو اللعين. لو أبقت فمها مقفلاً لما طلب منها الزواج، ولما اضطرت أن ترفض، ولما أمضيا المساء بصمت وتوتر.

ولقد حاولت وسعها لتتظاهر أن شيئاً لم يحدث، ولتتابع حياتها كالعادة.. لكن تاي رفض أن يستجيب لمحاولاتها التحدّث إليه، وفي النهاية استسلمت، وكيف يمكن أن تكون طبيعية، بينما آثار عناقهما تسري في دمها؟

كم كرهت رؤية نظراته المشتته، ربما سيسرّ عندما يصل إلى الروديو.. لكنه وقف متجهم الوجه إلى جانبها وهي تقدمه إلى الناس بنوع من الفرح. بدا واضحاً أنه لم يكن مسروراً، وبالكاد استجاب لمحاولاتها إشراكه في الحديث.

هذه ليست عادته أبداً. لكنها لم تعتقد أن أحداً سيصدقها لو صاحت بهذا.

إنهم لا يعرفون تاي الذي تعرفه.. ولم يروه في الخارج تحت

سماء بارا، يثبت عمود السياج في الأرض، ويبتسم من تحت قبعته.

ويعانقها قرب بركة الماء!

وبخت ليزي نفسها بائسة: لا تفكري بكل هذا. كان الآخرون.. يرون فيه مجرد غريب بارد العينين، ذي فم متعجرف. ومع أن أحداً لم ينظر إليه بترفع بعد، إلا أنه لم يكن مرغوباً فيه بدونها.

ورفضت ليزي الاعتراف بالهزيمة. واحتفظت بابتسامة مشرقة على وجهها، وهي تجر تاي من مجموعة إلى أخرى، وتتحدث بحيوية إلى الجميع. كانت تجهد نفسها لترسم الابتسامة على وجهه.

لن يجد زوجة وهو يبدو هكذا. يجب أن تعجبه واحدة ما.. كانت قد أمضت الليل تقنع نفسها بتجاهل طريقة عناقه لها. قد تكره فكرة زواج مدفوع القيمة، بارد كالذي ينويه تاي، لكن هذا ما ستقدمه له.. ولن تستطيع تحمل فكرة تركه لبارا مجدداً، مهما كان الثمن.

سألتها أمها: «ليزي.. ماذا تفعلين هنا مع هذا الرجل؟».

قالت ليزي ببرود: «اسمه تاي غيبسون، وأنا سكرتيرته الاجتماعية».

ورفعت عنقها، فلمحت تاي على مسافة منها، قبالة مجموعة من الشبان الجالسين على سياج الحلبة، ولم تستطع سماع ما كانوا يقولونه.. لكن لغة الجسد بدت معادية، ومن الواضح أن المتاعب قادمة.

قالت على عجل: «اسمعي أمي.. يجب أن أذهب، سأتصل بك قريباً».

مشت بأقصى سرعتها إلى حيث وقف الرجال وجهاً لوجه، وحولهم دائرة من المتفرجين... وسألت أحدهم بصوت منخفض: «ماذا يجري؟».

رد ساخراً: «يبدو أن غيبسون سأل هؤلاء الشبان، لماذا يرفضون

العمل في بارا؟».

ـ أوه.. يا إلهي!

وشقت طريقها إلى مقدمة الحلقة، وكان عمال المزرعة يلوحون بأيديهم بعدوانية ظاهرة. بدا وجه تاي جامداً وفي وقفته شيء من الازدراء. ورأت ليزي أن في ترفعه عنهم استفزازاً بحد ذاته، وهم يستدرجونه للمواجهة.

قال أحدهم: «وهل تظن أننا سنعمل لصبي مدينة جميل؟ لقد غبت طويلاً تاي غيبسون.. ولا تفهم كيفية العمل هنا.. أنت أكثر نعومة من أن تعيش في الصحراء».

وقال آخر: «كيف ستضع سائقاً على ظهر جواد؟».

كان اللون الأبيض قد أحاط بفم تاي لكن صوته بدا معتدلاً: «لست بحاجة إلى سائق.. أستطيع ركوب أي جواد هنا».

قال الرجل الآخر بازدراء: «صحيح؟ وكيف تثبت لنا هذا؟».

تدخلت ليزي بسرعة لتقف قربه وتتمسك بذراعه: «لست مضطراً إلى إثبات أي شيء».

لكنه نفض يدها عنه من دون أن ينظر إليها: «اختاروا جواداً وسأركبه».

ضحك قائد الحلقة ضحكة بغيضة، واستدار إلى زريبة خلفه. كان هناك فحل أسود، جامح، ينتظر دوره في المنافسات، ويجري كالمجنون حول الحظيرة.

وسأل: «أتظن أنك قادر على امتطاء هذا، أيها السيد الكبير؟».

وضحك الجميع بخبث.

ـ أجل.

صوت تاي البارد الهادىء قطع الهواء. وسرت همهمة بين المشاهدين وتغيّرت ملامحهم.

بدأت ليزي تقول: «لقد تماديتم في هذا بما يكفي».

لكن تاي أزاحها جانباً بهدوء، وقال للرجال: «أحضروا هذا الجواد إلى الحلبة.. وسأركبه».

قالت بصوت منخفض حاد، وهم يركضون لاحضار الجواد: «لا تكن سخيفاً.. هذا حيوان خطر! وستصاب بأذى! إنهم يحاولون إذلالك!».

ـ ولن ينجحوا.

وكانت عيناه باردتين كالثلج.

حاولت جاهدة أن تمسك بذراعه: «تاي..».

لكنه دفعها عنه، مزمجراً: «ابتعدي عن هذا ليزي».

وتركها تتلوى خلفه بألم، وتقدم نحو حلبة السباق بعزيمة ظاهرة.

كان الجواد يرفس بوحشية على الواح الخشب، فشعرت ليزي بالرعب.

وقفز الجواد إلى الحلبة، وأخذ ينتقل بوحشية، ويصهل رافعاً رأسه، وارتفعت يدا ليزي إلى عنقها من دون وعي.. وصمت الجميع، فقد ادركوا أن هذه المباراة ليست عادية.

أحست ليزي بالرعب، فهي لم تشاهد من قبل جواداً متوحشاً كهذا.. ولو وقع تاي.. فلن تكون له فرصة للنجاة من حوافر هذا الوحش، الذي يدوسه حتى الموت.

تشنجت فزعاً، وهي تنتظر أن يقع تاي على الأرض في أي لحظة. ليس ثمة مجال للبقاء على ظهر هذا المخلوق الشرس.. مع ذلك لم تستطع النظر بعيداً.

ولم تصدق أبداً كم بقيت واقفة هكذا.. تراقبه وهو متمسك بظهر الجواد الشرير، وبعد ما بدا لها عمراً بأكمله، أخذ الجواد يبطىء حركته منهزماً، ويسير حول الحلبة شاخراً، مبللاً بالعرق.

ساد الصمت التام أرجاء المكان.. ولم تنتظر ليزي لترى ردة فعل

الجمع. وبعد أن تضرعت إلى ربها أكثر مما فعلت طوال حياتها، أصبحت غاضبة بشكل مناف للعقل. وعندما تأكدت من أنه لم يصب بأذى، أحسّت بالغضب الشديد. اندفعت خارجة من بين الجميع، من دون أن تعرف وجهتها.

ولشدة حنقها لم تلاحظ الرجل المتجه نحوها حتى اصطدمت به.

سألها مداعباً: «إلى أين أنت ذاهبة بمثل هذه العجلة؟».

تلاشى الضباب الأحمر وهي تتعرف إلى أحد أقدم أصدقائها.

وانفجرت: «لماذا أنتم الرجال أغبياء هكذا؟».

قادها غراي إلى مكان هادىء ظليل، وأجلسها ثم قال: «الآن.. أخبرني ما الأمر؟».

وأصغى دون تعليق بينما كانت ليزي تنفث غضبها ضد الرجال الأغبياء، المتهورين، عديمي المسؤولية، غير المتعقلين.. الذين يفضلون الخطر على خسارة ماء الوجه.. وشيئاً فشيئاً، اخرجت ما يعتمل في صدرها.

كانا لا يزالان يجلسان هناك، يتحدثان، حين وجدهما تاي فيما بعد.

قال متوتراً: «ماذا تفعلين في هذه الزاوية، هل تختبئين؟».

ونظر نظرة قاتلة إلى غراي، الذي رد عليه نظرته، من دون اكتراث.

ردت ليزي بحدة، واهتياج: «أنا لا أختبىء».

تأثير غراي تلاشى أمام بضع كلمات من تاي، أشعلت غضبها مجدداً.

ـ لم أشعر برغبة في مراقبة المزيد من الأعمال الطائشة!

ـ لم تكن مثلما تعتقدين.. إنها الطريقة الوحيدة التي تدفع العمال للعودة إلى العمل معي.

ـ سمعت أن الإعلان عن عمل، ينجح أحياناً!

تجاهل سخريتها: «الإعلان لا يفيد مع رجال كهؤلاء.. يجب أن أكسب احترامهم أولاً».

ـ الاحترام! طبعاً.. إنها فكرة جيدة لتخاطر بحياتك!

ـ لكنني نجحت. لقد حصلت على ستة رجال جاهزين للعمل في الأسبوع القادم.

لسبب ما جعل هذا الخبر ليزي أكثر غضباً.. وقالت ساخرة: «حسن جداً.. لا بأس بهذا إذن! وما الخطر في لعبة الموت إذا أصلحت السياج في وقت أقصر؟».

اشتد ضغط فمه: «ما الذي يزعجك؟».

ـ لا شيء.. فكرت فقط أنها مخاطرة غبية!

ابتسم غراي قليلاً ووقف، ثم قال لتاي: «لو كنت مكانك لاستسلمت.. فلن تفهم أبداً».

وهز رأسه قائلاً: «أراكما وقت السباق».

وابتعد بخطوات رشيقة متباطئة. كانت ليزي تشيعه بمحبة، فيما ضاقت عينا تاي، وسأل: «من هذا؟»

ـ غراي هندرسون.. ولو لم تكن متجهماً لقدمتك إليه.. لكنني لم أرغب في أن تكون فظاً معه، فهو واحد من أقدم أصدقائي.

ـ عرفت هذا.

وأطبق فمه كما يطبق الفخ، ثم أكمل: «لم أدرك أنني أدفع لك لتقضي الظهيرة في جلسة حميمة مع صديق قديم! كان من المفترض أن تعملي».

تمتمت: «كنت أعمل في الواقع.. فعائلة هندرسون تقيم حفلة بعد السباقات، ويحضرها الجميع. وبفضل «صداقتي الحميمة» كما تسميها.. أنت مدعو أيضاً».

سأل بقسوة: «وكيف تدبرت هذا؟».

ـ لسنا جميعاً مضطرين إلى امتطاء جياد برية لنحلّ أمورنا. أخذت الخيار السهل، وطلبت منه أن يدعوك.

ـ ألم يرغب في معرفة السبب؟

ـ غراي ليس فضولياً. إنه رجل مستقيم.

وحاولت أن تجد طريقة تصف فيها غراي بكلمات يفهمها تاي.. لكن الرجلين كانا مختلفين جداً، ولم تستطع تصور طريقة لردم الهوة بينهما.. فلم تزد عن القول: «إنه رائع».

تحجر وجه تاي: «إنه رائع! من طرازك بالضبط! فلماذا لا تضعينه في الصف كواحد من مجموعة «السيد المناسب»؟».

لمعت عينا ليزي بشكل خطير: «فكرت بهذا مرة.. كنا مخطوبين عندما كنا أصغر سناً».

عقد حاجبيه الأسودين: «مخطوبان؟ ظننتك مخطوبة لستيفن؟».

ـ هذا كان في زمن آخر.

ـ يبدو أن أستراليا مليئة بالخطاب السابقين!

والتوت شفتاه: «وهل هناك ما يجب أن أعرفه؟».

رفعت ليزي ذقنها تحدياً: «لا.. وهذا ليس من شأنك مطلقاً!».

ـ بدأت أتساءل عما إذا كنت أفضل من يجد لي زوجة، أنت تعرفين الكثير عن الخطوبة لكن سجلك في الوصول إلى مذبح الكنيسة غير حافل.. أليس كذلك؟ وبماذا أخطأ غراي هندرسون يا ترى؟.

ـ لم يخطىء بشيء! كنا صغاراً جداً، وأدركنا معاً أننا غير مناسبين لبعضنا قبل أن يفوت الأوان، اتفقنا على أن نبقى صديقين. وهذا ما نحن عليه الآن.. صديقان متفاهمان.

علق ساخراً: «شخص آخر لم يكن بمستواك الرومانسي؟ هناك الكثير منا حولك.. أليس كذلك؟».

نظرت إليه بكراهية: «لن أقول هذا.. فغراي كان أقل الرجال

رومانسية. . لكنه وجد ما أبحث عنه بالضبط. حصل على زوجة يعبدها وتعبده، ولو رأيتهما معاً، لفهمت معنى الحب فعلاً!».

قال تاي بخشونة: «لا أحتاج «لأن أفهم. . أحتاج فقط إلى زوجة».

في طريق العودة، كان تاي في مزاج سيء، ومن زاوية عينيها استطاعت أن ترى جانب وجهه الغاضب. .

ما الذي يجعله غاضباً هكذا؟ لقد كان فظاً، غير متعقل، عنيداً. . وكان يستأهل أن يقع عن ظهر ذلك الجواد الغبي!

وكرهت ليزي كل لحظة من الروديو. . لكنه على الأقل علمها شيئاً مهماً، لقد اتخذت القرار الصحيح، عندما رفضت الزواج من تاي.

وفي الصباح التالي، خرج تاي، ولم يشرك ليزي عمداً في خططه، بل تركها تطوف حزينة في المنزل لوحدها. . وكان من المؤلم لها، أن تكتشف أنها تشتاق إليه حينما يغيب.

وتساءلت عما إذا كان تاي يفتقدها، هو أيضاً.

وأخيراً، تذكرت الحفلة التي ستنظمها. . قد لا يكون تاي متحمساً للفكرة،. . لكن، من الأفضل أن تفعل شيئاً. . وإلاّ ستقضي اليوم وهي تحاول أن تطرد موضوع البحيرة من ذهنها.

إن تنظيم حفلة كبيرة فكرة أفضل بكثير. . فعيد ميلاد تاي بعد ستة أسابيع. يمكنها أن تبدأ بالعمل، وتبقي ذهنها مشغولاً. . واستقرت خلف المنضدة في مكتبه، حيث يوجد الهاتف الوحيد، وعزمت على إجراء بعض المكالمات.

* * *

٩ ـ سهام الغيرة

كان مكتب تاي منظماً بشكل يبعث على الاعجاب. وألقت ليزي نظرة على آخر المبتكرات الالكترونية بشيء من الانزعاج، وهذه الغرفة تفتقر إلى الخصوصية، مما جعلها تشعر بعدم الارتياح.

لم يكن هناك فوضى أبداً. . ليس هناك ما يعطي ولو لمحة عن شخصية تاي. وكان من الصعب أن تصدق أن أحداً يمكنه العمل هنا، عدا الرجل الذي اصطحبها إلى بركة ماء مخبأة ليسبحا، ثم عانقها فوق الصخور الدافئة.

يا إلهي! ليس من المفترض أن تفكر بهذا، وتماسكت ليزي بإحساس من الذنب. لقد اتخذت قرارها. . وهو القرار الصحيح. . وهذه نهاية المسألة.

كانت تحسب كلفة استئجار فرقة موسيقية، حين ظهر تاي في الباب من دون سابق إنذار.

سأل: «ماذا تفعلين هنا؟».

بهتت ليزي. . وانخلع قلبها لظهوره المفاجىء: «أقوم بعملي».

وأحست بالتوتر لردة فعلها اليائسة، والتجهم الظاهر على وجهه.

ـ لقد اتفقنا على إقامة حفلة هنا، في نهاية الأسبوع الذي يلي السباق، إذا لم تنس. وهذا يعني أقل من ثلاثة أسابيع. . وإذا لم أرتب الأمور للتو، سأتأخر كثيراً. أعتقد أنك ما زلت تريد إقامة الحفلة؟

رفع أنفه، وقال: «يمكنك الاستمرار. . وآمل أن تكون فكرة أفضل من فكرتك الأخيرة! كان الروديو مضيعة للوقت!».

ردت بغضب: «وغلطة من كانت؟ كل شيء كان ليسير على ما يرام لو قمت بجهد بسيط! لقد قدمتك إلى الكثير من الفتيات المناسبات!».

ـ لا أستطيع وصف أي منهن بالمناسبة.

ورمى نفسه في مقعد جلدي أسود دوار، وأخذ يدور فيه بمزاج غير صاف.

قالت: «كلهن عازبات، ولدن وترعرعن هنا في الصحراء، ولا بدّ أنّ إحداهن أعجبتك؟».

شدّ تاي فكه بعناد: «ولا أيّ واحدة».

ـ وماذا عن ميليسا مارتن؟

ـ بالتأكيد.

ولم تستطع ليزي منع نفسها من الإحساس بالسرور فهي لا تحب ميليسا.

ـ حسن جداً. . وماذا عن إيما فيليبس؟

ـ ألم تري أسنانها؟

تنهدت ليزي: «أنت تفتعل المتاعب! ظننتك لا تهتم بشكل زوجتك طالما تريد الحصول على بارا؟».

ـ إذا كنت سأقضي بقية حياتي معها، فمن الأفضل أن أجدها جذابة.

وتناهى إلى سمعه صوت شهقة فاستدار إلى ليزي: «أعرف أنك تفكرين بمكافئتك. . ولا داعي للذعر! سأجد امرأة وأتزوجها قبل شهر حزيران. .».

يجب أن تكون مسرورة. . أخذت تراجع الأرقام التي سجلتها في دفتر ملاحظاتها، وهي غير قادرة على مواجهة عينيه، وسألت: «ما الذي

أتى بك إلى هنا؟ ظننت أنك ستعمل على إنهاء ذلك السياج».

تلاشى الغضب منه: «لقد تركت الرجال يقومون بالعمل، وجئت لأتصل بسيدني. . لدينا مشكلة».

ـ من أي نوع؟

ـ يبدو أنه كان هناك قليل من الاحتجاج على فطور هذا الصباح. الرجال لم يعجبهم الطعام الفاخر الذي قدم لهم ليلة أمس، وأصروا على «الستيك» والبيض. . والطباخ الآن متوتر ويطالب بالعودة إلى سيدني فوراً، مثل بقية الخدم.

لم تتمكن ليزي من مقاومة القول: «قلت لك إنهم لن يستمروا طويلاً. . ماذا ستفعل الآن؟».

ـ سأجعل مساعدتي تحصل على بديل في أسرع وقت ممكن.

قالت بصراحة: «لن أزعج نفسي بهذا لو كنت مكانك. كل ما تحتاج إليه هو طباخ، ومن الأفضل أن تجد شخصاً محلياً يعرف كيف يقدم اللحم والخبز».

قطب: «وكيف تقترحين أن أفعل هذا؟».

ـ سأسأل.

مع أنّ جزءاً منها كان يتساءل لماذا تجهد نفسها من أجله وهو يزعجها إلى هذا الحد.

ـ في هذه الأثناء، من الأفضل أن أقوم أنا نفسي بالطهي.

نظر إليها بسرعة: «وهل ستفعلين هذا حقاً؟».

لسبب ما لم تستطع ليزي مواجهة نظراته، وقالت: «سيعطيني هذا شيئاً أفعله».

وحذّرته حين حاول شكرها: «لن أطهو طعاماً كثيراً. . وبكل تأكيد لن أركض جيئة وذهاباً إلى غرفة الطعام! يمكنكم جميعاً أن تتناولوا الطعام في المطبخ. وهذا سيعطيك فرصة لتعرف عمالك جيداً».

وهكذا تولّت ليزي أمر المطبخ. . وسرّها أن تكون مشغولة، لكنها اشتاقت للخروج في السيارة مع الفجر وشرب الشاي تحت ظل شجرة. واشتاقت إلى تاي.

ومع مرور الأيام. . تحول التوتر فيما بينهما إلى مداراة. كانت تراه كل يوم. . لكن بالكاد تراه لوحده.

لم تعد الأمور كما كانت وأحست ليزي بالبؤس.

وأخيراً تمكنت من اغراء طبّاخة للعمل في بارا، لقاء أجر سخي، وما إن وصلت كارين، حتى لم يعد أمام ليزي ما تفعله سوى متابعة ترتيبات الحفلة.

يجب أن تفكر بالمستقبل، وليس بالأيام التي قضتها مع تاي وحيدين. فسوف يبلغ الأربعين قريباً، ويجد لنفسه زوجة. . كما أقسم أن يفعل. . ولن يعود لها عذر في البقاء. ومن الأفضل لها أن تبدأ بالاعتياد على فكرة الافتراق عنه.

ميدان السباق في ماتيسون لم يكن أكثر من طريق ترابية بين حاجزين منفردين. كانت الجياد تقف بصبر بانتظار بدء السباق. لكن معظم الناس مهتم أكثر بلقاء الأصدقاء من التفتيش عن رابح محتمل.

كان تاي مصمماً هذه المرة وهو يقود السيارة من بارا وبرفقته ليزي.

قال لها: «لا أريد أن أضيع وقتاً أكثر من هذا، يجب أن ألتقي بامرأة ما اليوم، وإلا تأخر الوقت كثيراً».

قالت باكتئاب: «حسن جداً».

كانت هذه المرة الأولى التي يبقيان فيها وحيدين منذ أسبوعين. . وقال لليزي حين خرجت لتنضم إليه في السيارة: «لا يوجد أحد سوانا أناوأنت».

كان يجب أن تستمتع بوقتها. وأخذت تقدم تاي إلى المزيد من النساء العازبات. في العادة، كانت تحب السباق، فهو أحد المناسبات

الاجتماعية السنوية الكبيرة، ولم تستطع أن تتذمر من أن تاي لا يقوم بجهد هذه المرة.

ويدا أن المضايقات قد خفت نحوه بشكل كبير منذ حادثة الروديو. . ولا بد أن السبب هو ترويضه لذلك الجواد أو الاحترام الذي يبديه له العاملون في بارا الآن. . أو ربما ما بذلته هي من جهود في مخزن البيع العام في ماتيسون لإقناع الناس أنه ليس الوحش الذي دأب والده على وصفه.

وأياً كان السبب، فقد استقبل تاي، ليس بمثل الحرارة التي استقبلت بها ليزي. . ولكن بدون عدوانية هذه المرة. النساء اللواتي كن يستمتعن بشتيمته في الروديو، أو يتفاخرن في المتجر بأنهن لسن معنيات بماله، ولا يردن أيّ علاقة به، فرحْنَ يتكلفن الابتسام وكأنهن فتيات مدرسة. . وكان تاي يرمي سحره حوله، فيفعل فعله.

كانت واثقة جداً من أنها الوحيدة التي تفهمه، وأحست بالمرارة. لقد جعلها تشعر أنها مميزة، لماذا لم تلاحظ من قبل كم هو موهوب في أداء الحوار؟

راقبته فبدا كقط كبير يفرز فريسته عن بقية القطيع. كان يهز رأسه مودعاً ويتركهن وهن متفقات على أن الشائعات حوله لم تكن صحيحة وأنه ليس سيئاً كما قيل عنه.

أحست ليزي أنه لم يعد يحتاجها، لكن تاي أصرّ على أن تبقى إلى جانبه. كان يتعمد أن يثبت لها أنها ليست مهمة كثيراً. بضع نساء قاومن ابتسامته لأول وهلة، لكن سرعان ما تهافتن عليه. وفي كل مرة كانت ليزي ترى رأسه محنياً وابتسامته تملأ وجهه، تشعر بسكين تطعن قلبها. . ظنت أنه لا يبتسم هكذا لسواها.

ها هو يتحدث الآن إلى ابنة وكيل بيع الماشية الجميلة، جولي، ذات الوجه الذي رسم على شكل قلب، والعينين البنيتين الكبيرتين. بدا

جلياً أنها خلبت لب تاي.. ورأته ليزي يلامس مرفقها بخفة، وانتشرت موجة من الغيرة القوية، عبر شرايينها.. أرادت أن تقفز لتقف بينهما، وأن تصفع يد تاي وتطيح بها.. أن تدفع جولي بعيداً عنه، وأن تصرخ بهما معاً أن يتوقفا عن الابتسام، والنظر، والملامسة.

ولعلها بدأت تتقدم، ففي تلك اللحظة أدار تاي رأسه، وكأنما ليتأكد من ردة فعلها، ونظر مباشرة إلى عينيها، ثم نظر بعيداً عن عمد.. وهبط قلبها ألماً، وتمايلت الأرض تحت قدميها.

أخذت تصلي: «أوه. لا.. لا.. لا!».

من حولها كان الناس يتكلمون ويضحكون، لكن ليزي لم تستطع سماع شيء.. وانفصلت ليزي عن الجموع بحاجز غير مرئي لا يمكن اختراقه، عزلها عن العالم وتركها وحيدة مع إحساس بليد بعمق حبها لتاي.

أرادت أن تصرخ أن الحب ليس هكذا، فهو يتفجر في حياة الإنسان فجأة، من دون مقدمات، ومن دون مشاكل.. ولا يتسلل إليها وهي تبتعد عنه.

إنها لا تريد أن تحب تاي! بل تريد شخصاً يجد فيها قرينة روحه.. شخصاً يعرف ما إن ينظر إليها أنه له... إنها تريد حباً حقيقاً.

بدلاً من هذا، جاءها تاي، الذي لا يؤمن بالحب، تاي الذي ليس بحاجة إلى أحد. تاي الواقف إلى جانبها، يفتش ببرودة عن امرأة أخرى تقع في شراك جاذبيته المدمرة.. كما حصل معها تماماً.

أحست ليزي بالغثيان والدوار.. وبدأ الناس ينظرون إليها بقلق. وتمكنت من أن ترسم على وجهها ابتسامة، لكنها ارتاحت تماماً حين أمسك تاي ذراعها وابتعد بها.

نظر إليها مقطباً: «ما بك؟ تبدين وكأنك رأيت شبحاً!».

سحبت ذراعها منه: «أنا بخير تماماً».

وراعها أن يرى كم تحبه، فلن تستطيع تحمل هذا.

ضاقت عيناه.. وقال: «الأمور تتحسن، أعتقد أن جولي قد تكون السيدة غيبسون.. ما رأيك؟».

قالت بصراحة: «لا.. إنها صغيرة جداً بالنسبة لك».

ـ لكنها جميلة جداً.

وتساءلت ليزي عما إذا كان قادراً على سماع قلبها وهو يتحطم..

وأحست بحنجرتها تضيق، ولم تستطع أن تتكلم بسهولة:

ـ ظننتك لا تؤمن بهوة العمر الكبيرة.

وتذكرت كيف كان يهمس في أذنها وهما مستلقيان قرب بركة الماء.

واعترف تاي: «ربما معك حق، من الأفضل أن تفتش عن واحدة أكبر بقليل».

ومرت عيناه الباردتان على الجمع، ثم سأل: «من هي تلك المرأة هناك؟».

وأشار برأسه نحو امرأة حمراء الشعر، تتفحص الرهانات على اللوحة.

هل يتعمد جرحها؟

ـ إنها إيلين روجرز.

ـ هل هي عزباء.

ـ مطلقة.

ـ ممتاز.. لا شيء في الوصية ضد امرأة متزوجة من قبل.. والمطلقة ستكون مثالية، فبكل تأكيد لن تكون رومانسية، مثل بعض الناس.

عاد ينظر إلى ليزي: «وهي جذابة جداً، ألا توافقينني الرأي؟».

ردت ليزي عبر شفتين متصلبتين: «إذا كنت تحب حمراوات الشعر».

- لا أفرق كثيراً في هذه الأمور. ولا أظنك قادرة أن تقولي إنها صغيرة جداً. . هل لديك اعتراضات أخرى؟

تكورت يدا ليزي في قبضتين. . وغرزت أظافرها في راحتي يدها، وقالت عبر أسنان مشدودة: «الأمر ليس عائداً لي. . أنت الذي تفكر بالزواج منها».

قال: «أعتقد أنه من الأفضل أن ألتقي بها قبل أن أبتعد إلى هذا الحد. . لماذا لا تقدمينني إليها؟».

فجأة، أحست ليزي أنها لم تعد قادرة على الاستمرار. فقالت بصوت يتكسر بخطورة: «قدم لها نفسك، سأذهب لأشرب شيئاً».

وذهبت لتستند إلى السياج وتتفرج على الجياد المنتظرة. كانت قبعتها كرباط ضيق حول رأسها، فخلعتها لتمرر أصابعها في شعرها بعد أن خف توترها، راحت تحدق بالجياد، لكنها كانت ترى أمامها بركة الماء في باراكريك. . وتاي ينحني فوقها ليعانقها.

لقد طلب منها الزواج، ورفضت.

وكان هذا خيارها، وهو الخيار الصحيح. ولن تستطيع التذمر الآن وهو يفتش عن زوجة في مكان آخر. . لكن هذا لم يوقف العذاب الذي اعتصر قلبها، وهي تتصوره يبتسم لآلين روجرز، ويطلب منها أن تتزوجه. . فحين يصل الأمر إلى هذا، أيّ امرأة تتمنى الزواج منه.

وهي مستغرقة في أفكارها البائسة، لم تشعر باقتراب غراي منها، إلى أن استند إلى السياج قربها، وسأل: «هل كل شيء على ما يرام ليزي؟ ليس من عادتك الاختباء في الزوايا. . أنت عادة روح وحياة أيّ حفلة!».

أخذت ليزي نفساً عميقاً، وحاولت أن تهدئ ارتجاف فمها.

- أنا فقط.

أحاول ألاّ أبكي. أحاول أن أتساءل عما إذا أضعت فرصتي الوحيدة

للسعادة، أتمنى فقط لو أن الأمور مختلفة.

قالت بضعف: «لدي يوم راحة واحد. .».

نظر غراي إلى جانب وجهها. كان فمها مضغوطاً بقوة في خط مستقيم. وسأل: «هل هو تاي؟».

ارتجف فمها، ثم هدأ بجهد ظاهر، وتمتمت: «نوعاً ما».

ووضع ببساطة ذراعه حول كتفيها، مانحاً إياها الراحة، والطمأنينة. واستندت ليزي إليه بامتنان، غير قادرة على الكلام، تقاوم عقدة دموع مشدودة في حلقها.

بعد بضع دقائق طويلة أطلقت تنهيدة طويلة مرتجفة، ثم ابتلعت ريقها بصعوبة. .

- سألها: «هل ستأتيان إلى حفل الشواء في «بوتمان كريك»؟».

- أجل. . طبعاً.

- سأراك فيما بعد إذن.

بقيت وحيدة مرة أخرى، فأخذت أنفاساً عميقة، قبل أن تريح كتفيها. يجب ألاّ تبكي، ولن تستطيع البقاء هنا كذلك. يجب أن تواجه تاي في وقت ما، ومن الأفضل أن تفعل هذا الآن.

استدارت على مضض، لتجد نفسها تنظر مباشرة إلى عينيه الرماديتين الثلجيتين، وقفز قلبها بألم، وقالت: «كنت قادمة للبحث عنك الآن».

- لقد تذكرتني إذن! أعتقد أنه يجب أن أشعر بالرضى لأنك فكرت بي. . فأنا لست سوى الرجل الذي يدفع لك أجراً كبيراً وسخياً. . في حين أن لديك أشياء كثيرة تفعلينها، مثل ترك صديقك الطبيب جداً غراي هندرسون يحتضنك!

هذا هو الأمر إذن. . ولن تستطيع أن تدعي أنها لم تقع صريعة سحره وجاذبيته. لقد وقعت في حب رجل ذي مزاج سيء، ومتكبر.

ولا تزال تحبه حتى وهو في مزاج كريه مثل الآن.

أهلاً بك إلى الحب الحقيقي! ألم يكن هذا ما تمنته؟

سألته بجفاء: «ماذا تريد؟».

ذكّرها متهماً: «قلت إنك ستأتين بشيء تشربينه، وفتشت عنك في خيمة المشروبات، لكنك لم تكوني هناك».

ـ غيرت رأيي.

قال بغضب: «من المفترض أن تكوني سكرتيرتي الاجتماعية، ولن تفعلي هذا، وأنت تقفين هنا متوارية عن الأنظار!».

أرجعت ليزي شعرها عن وجهها: «بدا لي أنك تنجح أكثر من دوني.. كنت لأنغص عليك حديثك مع آلين روجرز. ولكنك لم تتحدث معها طويلاً أبداً..».

لمعت عيناه وقال بحدة: «بما يكفي.. دعوتها إلى الحفلة».

ـ وهل ستأتي؟

ـ لا تستطيع الانتظار.

حسن جداً، هذا واضح.. آلين روجرز ليست غبية، ولو أحست باهتمام تاي بها، فلن تهدر الوقت سدى. آلين لم تخجل يوماً من مسألة كهذه، وتذكرت ليزي هذا وانقبض فؤادها.

سألته ليزي: «يبدو أنك تقدمت جيداً».

تردد تاي دون وعي، ثم قال: «تبدو لي مثالية».

ـ عظيم.

وأحست كأن حجراً بارداً في داخلها يزداد وطأة لحظة بعد أخرى.

وبدا أن تاي يرش الملح على الجرح: «من الأفضل أن تتأكدي من حصولها على دعوة لائقة، حين ترسلين الدعوات الأخرى».

ـ بالتأكيد.

ساد صمت قصير.. وأحست ليزي بعيني تاي تخترقانها. لكنها لم

تستطع النظر إليه.. وضعت قبعتها على رأسها، وحاولت أن تخفي تعابير وجهها بحافتها الواسعة، لكن ذلك لم يفدها كثيراً.

قال تاي بخشونة: «تبدين متعبة».

ـ لدي صداع خفيف، هذا كل ما في الأمر.

ـ في هذه الحالة، من الأفضل أن نذهب.

ـ لكن، ألا تريد مقابلة أحد بعد؟

رد بصوت قاطع: «لا!».

لا بد أنه واثق من أن آلين هي المرأة التي يبحث عنها.

قالت: «قلت لغراي إننا سنذهب إلى حفل الشواء في بوشمان كريك».

قال بحدة: «أنا واثق أنك فعلت هذا.. لكنني لا أرى سبباً يدفعني إلى البقاء هناك لمجرد أن تحصلي على فرصة جديدة لتعانقي السيد المهذب، وزوجته المهذبة، وزواجه المهذب أيضاً. أنا لست واثقاً من أن امرأته ستسعد، لو أبصرته وهو لا يستطيع رفع يديه عنك.

هزت ليزي رأسها: «أنت لا تفهم».

وكاد يشخر: «بل أفهم تماماً! هيا.. نحن عائدان إلى بارا الآن».

بدا وكأن ماتيسون لم تشهد حفلة مماثلة.

كان يوماً رائعاً، بضع سحابات رقيقة تلطخ السماء الزرقاء.. ونسيم عذب يخفف من وطأة الحرارة.. وفرقة موسيقية تعزف، والضيوف يتجولون بسعادة. وكما تكهنت ليزي، جاء الجميع متغلبين على شكوكهم، مستغلين المناسبة لرؤية بارا والتمتع بطعام تاي غيبسون المميز.

كانت ليزي مرهقة بعد أسبوع من العمل المحموم، والليالي من دون نوم. إنما بطريقة ما، كانت ممتنة لأن العمل شغلها كثيراً، فلم يعد لديها وقت للتفكير.. لكن الليالي كانت أكثر صعوبة.

ليلة بعد ليلة، تساءلت ليزي، وقد جفاها النوم، كيف أخذت مثل هذا الوقت الطويل لتدرك أنها وقعت في حب تاي.. اعتقدت لأول وهلة، أنه مجرد اعجاب. لكنها الآن مضطرة لأن تتابع ما تبقى من حياتها من دون الشخص الذي يمنحها السعادة.

ولماذا بالتحديد؟

لماذا لم تقع في حب رجل آخر، يعيش مثلها ويفكر مثلها ويريد الأشياء التي تريدها؟ رجل يحبها ويحتاج إليها ويجعلها تشعر بالأمان.

بدلاً من هذا أحبت تاي. لم تحلم ليزى أبداً بأن يكون الحب مؤلماً هكذا، جسدياً. أحست بقلبها يتأوه مع كل ضربة.. وبجسدها يحترق.. وتعلمت أن تتنفس ببطء، لتقاوم الهموم.

أحياناً كانت تتساءل لماذا لا تستسلم.. يمكنها أن تتجاهل كرامتها وتقول لتاي إنها غيرت رأيها، وتستطيع الزواج منه. على الأقل ستكون معه.. وأخذت تقلّب الفكرة.. أولن يكون هذا أفضل من لا شيء؟ قد يسخر تاي من دوافعها، لكنه سيقبل، إنها متأكدة من هذا. وبالرغم من أنه يبذل كل جهده في التودد إلى آلين إلاّ أنه لم يطلب يدها بعد.. وليزي ما زالت مناسبة.

مناسبة.. كانت الكلمة توصلها دائماً إلى الإحباط. هل يمكن لها فعلاً أن تتخلى عن كل أحلامها من أجل رجل يمكن أن يتزوجها لأنها تناسبه؟ سيكون هذا خيانة لكل ما آمنت به.. وسينتهي حبها رخيصاً، تافهاً كصفقة تجارية أو شيء من هذا القبيل!

والى متى سيدوم مع عدم اكتراث تاي؟ كم سيطول الأمر قبل أن يذوي ويتقلب إلى مرارة وكراهية كما حصل مع أمه؟

لا.. إنها تستحق أفضل من هذا.

كانت حفلة رائعة.. وكرر الناس هذا، لذا افترضت أنها الحقيقة.. لكنها تشوّقت لانتهائها.. وقفت على الشرفة الأمامية، تنظر

إلى الجمع الضاحك.. وتمنت لو يذهبون جميعاً إلى بيوتهم. لكنها أكثر من أي شيء آخر، كانت تتمنى لو تستطيع إرجاع الزمان إلى الوراء.. إلى بركة الماء.. حين كانت وتاي وحيدين تماماً.

وآلمها فكها لكثرة ما ابتسمت. وادّعت البهجة، في وقت شعرت فيه أن عالمها كله يتداعى.

نظرت إليه خلسة وهو يتحرك في الحفلة محيياً الناس.. لكن في نصف الساعة الأخيرة، اختفى، فأحست بارتعاش سخيف، وهي تتساءل أين هو، ومع من، وماذا يفعل.

لم يكن من الصعب عليها أن تخمن.. فقد اتصل تاي بآلين مرتين منذ السباق.. ويوم الخميس طلب الطائرة النفاثة من سيدني، كي يأخذها إلى الغداء في مدينة داروين.. وأسعده جداً أن يقول لليزي، إن آلين لم تضيع وقتها في مسائل عاطفية غبية.. إنها مثله.. تعرف ما تريد وتتجه مباشرة لتحصل عليه. في الواقع، استنتج تاي، أن بينهما أشياء كثيرة مشتركة.

أحياناً، كانت ليزي تتساءل عما إذا كان يتعمد أن يؤلمها. وبالرغم من أنه وجد آلين شخصية لطيفة، إلا أنه كان في مزاج كريه معها طوال الأسبوع.. وأمضى وقته كله ينتقد الترتيبات التي تقوم بها للحفلة، أو يتصل بآلين حين تكون في المكتب، لتسمع كل كلمة من حديثه.

وصرّت ليزي على أسنانها، وذكرت نفسها أنها من أراده أن يجد زوجة لنفسه. عندما يتزوّج، سيتمكن من البقاء في بارا، وستعود هي إلى بيرث مع الكثير من المال.. ويجب أن تكون مسرورة لأنه وجد امرأة مناسبة مثل آلين.

ماذا لو طلب الآن من آلين أن تتزوجه؟ ستكون الحفلة فرصة ممتازة لهما. ونظرت ليزي حولها تبحث عن تاي في ذعر مفاجىء، لكنها لم تستطع أن تراه.

وتوقفت نظرة ليزي وهي تلمح شكله الرشيق المألوف بين الجموع.. كان يقف إلى جانب امرأة، وقد تقارب رأساهما. وعرفت ليزي أنها آلين، فشعرها الأشقر لا يمكن إغفاله.

ومن دون أيّ رغبة في المراقبة، وغير قادرة على انتزاع عينيها عنهما، رأت آلين تقف على رؤوس أصابعها لتهمس في أذن تاي، فابتسم ووضع يده على خصرها، يشدها بعيداً عن الناس. وأنشبت الغيرة مخالبها بوحشية في قلب ليزي، حتى اضطرت إلى وضع يدها على فمها لتمنع الصرخة التي ارتفعت إلى شفتيها.

استدارت وركضت متعثرة إلى أن أصبحت الموسيقى والضحك صوتاً خفيفاً بعيداً. كانت تلهث حين توقفت أخيراً.. وبدا الدغل من حولها يدور، ويسخر منها، بهدوئه وصمته.

ارتمت ليزي فوق جذع شجرة، وهي تشعر بالغثيان. ولم تستطع أن تتذكر كيف وصلت إلى هنا، كل ما كانت تتذكره، هو ابتسامة تاي، والتصاق آلين به، وهمسها في أذنه. وضغطت يديها على عينيها لتبعد الصورة.. لكن ما من فائدة، فدماغها مثبت على تلك اللحظة، وذاك المشهد.

أخذت ليزي نفساً مرتجفاً، وفتحت عينيها. بدأ السكون والصمت يحلان ببطء من حولها.. ولم يعودا يسخران منها، بل يريحانها.

وبوضوح مفاجيء، أدركت سوء تصرفها.. الغلطة ليست غلطة تاي لو أنها وقعت في حبه.

لقد كان صادقاً تماماً معها، ولن تستطيع أن تتذمر الآن لأنه ليس الشخص الذي تريده أن يكون.. فهو كما هو، ولن يتغير من أجلها ولا من أجل أي إنسان آخر. يمكنها أن تقبل به أو تتركه، وكان قرارها أن تتركه.

وذكرت نفسها بأنها محظوظة.. فهي تعيش في مدينة رائعة، ولها

منزل، وأصدقاء، وعمل. وحان الوقت لتعود إلى هذا كله. ربما في يوم ما، ستلتقي شخصاً آخر وتكتشف أن الحب ليس هكذا.. ربما عندئذٍ ستتمكن من أن تفكر بمشاعرها نحو تاي وتتعجب لماذا كانت تعيسة بسببه.

ربما.

* * *

www.elromansia.com

١٠ ـ خيوط الذهب

أسدل الظلام ستاره قبل مغادرة آخر الضيوف. واستطاعت ليزي أن تجد طريقها إلى الشرفة الخلفية، وأن تتفادى تبادل الابتسامات. كانت جالسة في كرسي من الخيزران، تخبىء نفسها في الظل، حين وجدها تاي.

قال متوتراً: «أنت هنا إذن! ماذا تفعلين وحدك في الظلام».

وكانت أكثر تعباً من أن تدّعي شيئاً: «كان يوماً طويلاً متعباً.. وظننت أنني استحق قضاء بعض الوقت لوحدي».

تجاهل تاي إشارتها. بدا قلقاً، وراح يذرع الشرفة ثم يميل فوق السياج، ويستقيم ويسير قليلاً. وانتظرت ليزي بصمت أن يفضي إليها بما يضيق به صدره.

في كل مرة يقترب منها، كانت تريد أن تمد يدها وتوقفه.. أن تقنعه بالجلوس إلى جانبها في الظلام، والإصغاء إلى سكون الليل.. هذه آخر فرصة ليكونا معاً. وعليها أن تستغلها. لكنها لم تكن واثقة من قدرتها على مغالبة الدموع.

بدا لها وكأن قبضة حديدية تطبق بقوة على قلبها، ويداً متوحشة تمسك بخناقها. ولم تجرؤ على التحرك أو الكلام لئلا تتهاوى. كل ما استطاعته، هو أن تجلس يائسة، تتمسك بقدراتها، يجب ألاّ تنهار أبداً.

قال تاي أخيراً: «أردت فقط أن أشكرك، كانت الحفلة نجاحاً كبيراً، وكل هذا بسببك.. أعرف كم عملت جاهدة لتنظيمها».

قالت بصوت مشدود: «كنت أقوم بعملي».

ساد صمت قصير، وردد تاي ببطء، حتى خشيت أن تكون أفكاره ضاعت في مكان آخر: «عملك.. أجل.. أعتقد هذا».

واستدار ليستند إلى سياج الشرفة وظهره إليها.

تابعت ليزي، وقد وجدت أن من السهل عليها أن تتكلم وهو مولٍ ظهره: «لقد تمتعت بهذا، وكانت تجربة جيدة لي.. أنا..».

وأخذت نفساً عميقاً، ثم أكملت: «قررت أن أتخصص في إدارة المناسبات الاجتماعية، حين أعود إلى پيرث».

استدار تاي: «پيرث؟ ظننتك تريدين العمل لحسابي في لندن».

وتذكرت ليزي أنها قالت هذا، وفكرت بذلك اليوم الذي أنهيا فيه العمل في الحظائر، وكيف جلس تاي ويداه على المقود ليقول لها: الوظيفة لك.. وكان عليها يومذاك أن تتظاهر أنها مسرورة.

قالت، تتجنب عينيه: «غيّرت رأيي.. وأفضل البقاء في پيرث، لأؤسس عملاً خاصاً بي في تنظيم الحفلات والمؤتمرات، وإطلاق الإعلانات.. أعتقد أنني سأكون جيدة جداً. وكل ما سأحتاجه هو بعض الرأسمال لأنطلق».

ساد صمت طويل، وقال تاي: «فهمت.. حسن جداً.. لا تقلقي، لن يطول الأمر قبل أن تحصلي على رأسمالك. هذا ما اتفقنا عليه».

ـ وهل.. ستتزوج؟

ـ أجل.

غرزت ليزي أظافرها في كفيها: «من آلين؟».

ـ أجل.

كانت ترتعب من مجرد التفكير بهذه اللحظة، وتعلم أنها ستتألم.

لكنها لم تكن تدرك مقدار ما سيحيق بها من عذاب. ولفت ذراعها حول معدتها حيث راح الألم يزداد سوءاً، ورفضت أن تسمح لنفسها أن تنهار.. ولم تكن كبرياؤها تعنيها كثيراً، لكن هذا كل ما تبقى لها.

سألت بصوت بدا رفيعاً جافاً: «وهل تعرف هي لماذا أنت متحمس للزواج منها؟».

دس يديه في جيبيه: «ليس بعد، لم تتح لي فرصة شرح الموقف وسأفعل هذا حين أطلب منها أن تتزوجني».

وقفز قلب ليزي وإن من دون طائل: «ألم تطلب منها بعد؟».

ـ لا.. سوف أكلمها غداً.

ـ قد لا تقول نعم.

ـ ستفعل.. لن تصلي إلى إدارة عمل ببليون دولار، إذا لم تتمكني من توقع ردود فعل الآخرين.

رفعت رأسها لتنظر إلى عينيه مباشرة، وقالت تذكره: «لكنني أنا، قلت لا.. ولم تتكهن أنت بهذا من قبل».

نظرا إلى بعضهما عبر الظلال المعتمة طويلاً، ثم نظر تاي بعيداً، وقال: «آلين لن تفعل هذا، وستوافق، حين تسمع ما أعرضه».

مدت ساقيها ووقفت متصلبة، آلين ليست غبية.

إذن، هذه نهاية الطريق. ولا جدوى الآن من الأمل بأن يتغير تاي ويقع في الحب، لا جدوى من الأمل أن ترفض آلين فرصة تأمين مستقبلها بالزواج من رجل جذاب ومشاركته ملايينه.

وحدها الغبية مثلها تفعل هذا.

قالت: «حسن جداً.. أهنئك».

ولم تستطع إخفاء الأسى من صوتها.

قال معلقاً: «لا تبدو عليك السعادة من أجلي».

أخذت ليزي نفساً مرتجفاً، وقالت: «لن تجعلك آلين سعيداً».

قال بصوت قاسٍ: «ستجعلني سعيداً لحظة موافقتها.. وستكون بارا لي.. ولن يتمكنَ أحد من أخذها مني.. هذا كل ما أحتاجه لأكون سعيداً».

ـ إذا كانت بارا هي كل ما تهتم به، فربما أنت محق.

قال بإصرار: «آلين وأنا سنتدبر أمرنا جيداً من دون حب، نحن متلائمان جداً. وما من واحد منا سيعوّل على أي أحلام بالية أو نهايات سعيدة.. وربما ينتهي بنا الأمر أكثر سعادة منك، فأوهامك الرومانسية قد تكون كل ما تحصلين عليه، لتبقى مشاعرك متدفقة».

بهتت ليزي لوحشية كلماته وأدارت وجهها بعيداً، ثم تحركت نحو سلم الشرفة المنخفض، بحيث يتمكن تاي من رؤية تعابيرها.

ـ متى.. متى ستتزوجان؟

ـ لا سبب يمنع أن تفعل هذا فوراً.. أليس كذلك؟ يمكن أن نسافر إلى داروين في نهاية هذا الأسبوع، ونتزوج هناك، ونسوي القضايا القانونية دفعة واحدة.

ـ قد تفضل آلين حفل زفاف لائق.. وهذا يحتاج إلى وقت للتخطيط له.

قال باختصار: «لن أمر بمثل هذه الفوضى، فهذا ترتيب عملي.. وآلين لن تمانع عندما تحصل على بطاقة اعتماد مضافة إلى حسابي».

أخذت نفساً عميقاً وهي تستدير لتنظر إليه مرة أخرى: «في هذه الحالة من الأفضل أن أقول لك وداعاً الآن».

ـ ماذا تعنين.. وداعاً.

ـ سأعود إلى بيرث في الصباح الباكر، يمكنني أن أذهب مع متعهدي الطعام.

ـ غداً؟

بدا وكأنه أصيب بلطمة أفقدته توازنه: «لا يمكنك الذهاب غداً».

ـ ولماذا لا؟

ـ لأن. . لأنك ما زلت تعملين لحسابي، وأنا بحاجة إليك هنا.

ابتسمت بتعاسة: «لا. . لست بحاجة إليّ. لقد وجدت زوجة، وأنا انجزت عملي».

ارتجفت عضلة في فك تاي: «لم ينته الأمر بعد. . لا زال هناك ترتيبات يجب أن تُنجز».

ـ يمكنك إنجازها مع آلين. . ولا شأن لي بها.

ـ حسن جداً. اذهبي إذا كنت متلهفة إلى هذا الحد. لكن لن أدفع لك قبل أن يتم الزواج!

بطريقة ما، تمكنت ليزي من السيطرة على نفسها: «جميل».

واستدارت لتذهب: «لديك عنواني في بيرث. . بإمكانك إرسال الشيك إلى هناك».

***

نظرت ليزي إلى المغلف طويلاً قبل أن تفتحه، كانت تعرف ما يحويه، فخط تاي البارز كان ظاهراً على مقدمته. ويبدو أنه كتب في لحظة غضب.

أخذت نفساً عميقاً، وفتحته. في الداخل، وكما توقعت، كان هناك شيك.

إذن. . لقد تزوج.

ضغطت ليزي يدها على فمها المرتجف. لقد تزوج تاي. . تزوج. . تزوج. . واستمرت تردد الكلمة لنفسها. لكن عقلها رفض الفكرة باصرار، حتى وهي تعرف أن هذا صحيح، حتى ولو انتظرت هذه اللحظة منذ غادرت بارا كريك في الصباح التالي للحفلة.

منذ ذلك الوقت وليزي تعيش في حالة من اليأس القاتل. وأمضت رحلة العودة إلى بيرث، وهي تأمل أن يتحسّن حالها عندما تصل إلى

منزلها. . وتلملم ما تناثر من حياتها، وتبدأ في نسيان تاي وبارا والجدول الهادىء.

لكن الأمر لم ينجح تماماً. فكلما جهدت ليزي أن تنسى، كلما زاد شوقها إليه، وكلما تضاعف الألم والفراغ في داخلها. أحست أنها ضعيفة، يمكن أن تتحطم إلى ألف قطعة بضربة خفيفة واحدة.

عندما تلقت شيك تاي عبر البريد، أدركت أنه تزوج.

أطبق الشعور بالمرارة على حنجرة ليزي. ورمت الشيك من يدها. لماذا رفضت تاي حين طلب الزواج منها؟ وما الضير في أنه لم يكن يحبها؟ على الأقل، كانت لتعيش معه، وأمامها العمر كله لتعلّمه كيف يحب، وكيف يصبح سعيداً.

كان يمكن أن تقف إلى جانبه، تراقبه وهو يدس الخاتم في إصبع يدها اليسرى. . كان يمكن أن تسير إلى جانبه في بارا، وتعرف أنها لن تضطر أن تغادرها.

لكن، لم يختارها هي. . بل آلين. ودفنت رأسها بين يديها وبكت.

حين رن جرس الهاتف ذلك المساء، كادت ألاّ ترد عليه، لكنها كانت قد نسيت أن تدير المجيب الآلي. تمالكت نفسها لتلتقط السماعة، يجب أن تستمر في حياتها. ومن الأفضل أن تبدأ في الحال.

كان المتكلم أمها، تتذمر كعادتها: «لم أكن لأعرف أنك عدت إلى بيرث لولا أنني التقيت كارين في ماتيسون».

ومن دون اهتمام، سألت ليزي: «كارين من؟».

ـ تعرفينها. . كارين! الطباخة من بارا.

أطبقت حنجرتها لذكر بارا: «أوه. . أجل».

ـ كان عليك أن تقولي لنا إنك راحلة. لماذا لا تطلعينا على أخبارك؟ ظننت أنك تعملين لتاي غيبسون!

ـ كان عملاً مؤقتاً. . لكني أنهيت عقدي معه، منذ أسبوعين.

قالت أمها: «لا ألومك، فحسب قول كارين، كان من المستحيل العيش معه منذ تركته. لم تعد تستطيع الانتظار حتى يعود إلى أميركا، ومع أنها لا تعرف ما إذا كانت ستحتفظ بعملها..».

صرخت ليزي مقاطعة أمها: «ماذا؟ ماذا قلت لتوك أمي؟».

ـ قلت إن كارين ستكون مسرورة حين يعود تاي غيبسون إلى أميركا.. ألم تكوني تعرفين هذا؟

أحست ليزي بالبرد.. لا يمكن لتاي أن يذهب إلى أميركا.. تاي بحاجة إلى بارا. ما الذي جرى؟

قالت دونما إحساس: «لكن.. ظننته سيتزوج».

بهتت الأم فوراً من سماعها هذه الشائعة الجديدة: «حقاً؟ وممن؟».

ـ من آلين روجرز.

وذهلت الأم: «ومن أخبرك بهذا. لا.. آلين مرتبطة مع باري بيرس، وعائلته غير راضية عن هذا الاختيار.

سألت ليزي ببطء: «لم يتزوج؟».

ـ من.. باري؟ إنه مطلق، وتعرفين هذا.

ـ ليس باري.. تاي.

وأحست بلسانها يتثاقل في فمها للفظها اسمه.

ـ حسن جداً.. لو تزوج فهو يتكتم حول الأمر، وكارين بالتأكيد لا تعرف شيئاً.

استوت ليزي واقفة، وبدأت تذرع غرفتها تكاد لا تعي ما تقول: «لكن يجب أن يتزوج، اليوم هو الأول من حزيران وليس أمامه سوى بضعة أيام، لا يمكن ألاّ يكون متزوجاً!».

ساد صمت في الجانب الآخر للهاتف: «ليزي.. عمَّ تتكلمين؟».

أخذت ليزي نفساً عميقاً، وعرفت فجأة ماذا يجب أن تفعل.. وقالت متجاهلة سؤال أمها: «أمي.. سأصل في الصباح الباكر، هل

أستطيع أن أستعير سيارتك؟».

أوقفت ليزي السيارة في الظل، وجلست لبرهة تنظر إلى المنزل الريفي.. لم تقل لتاي إنها قادمة، ولم تفكر حتى بماذا ستقول له.. كل ما كانت تعرفه أنها يجب أن تراه.

هذا، إذا كان هناك. وماذا لو رحل؟

وسرت قشعريرة مفاجئة في جسمها. لعلها تأخرت كثيراً.. وخرجت بسرعة من السيارة.

لم تصادف أحد وهي تصعد إلى الشرفة الأمامية وتفتح الباب الزجاجي.. وسارت في الممر الطويل وكعباها يضربان على الأرض الخشبية اللماعة، حتى وصلت مكتب تاي.

كان الباب مغلقاً. لكن، حين أصاخت ليزي السمع، سمعت صوته، وهش قلبها لنبرته المألوفة واستقامت مع تبخر الهواء من رئتيها.. إنه هنا.

بللت شفتيها، وأخذت نفساً راعشاً، ودقت على الباب: «أدخل».

مسحت ليزي يديها المتعرقتين على بنطلونها.

كرر: «أدخل!».

ازداد التوتر في صوته فاطمأنت بشكل غريب. تاي بخير.. وفتحت الباب ودخلت.

كان يجلس في مقعده الدوار مولياً الباب ظهره، مستغرقاً في حديث قطعته بطرقها على الباب. وغدت ليزي هادئة بشكل غريب.. وانتظرته. كان يكفيها أن تقف في الغرفة ذاتها معه، وأن تعرف أن بضع خطوات ستوصلها إليه.

وكأنما أحس بصبرها، فاستدار ليراها واقفة وسط الغرفة، وشعرها الأشقر مسترسل حول وجهها، وعلت وجهه الصدمة وشعور آخر قبل أن يحكم سيطرته على تعابيره.

قال في الهاتف: «سأتصل بك لاحقاً».

وأطفأ الجهاز من دون انتظار الرد. بحذر، وضع السماعة على المكتب، وكأنه يخشى أن تجعل حركة مفاجئة ليزي تختفي.

كان قلب ليزي يتخبط بين ضلوعها. ونظرت إلى تاي بشوق، وهو يستوي واقفاً يبطء. بدا لها أكبر سناً. وأكثر تعباً، في ما ارتسمت حول فمه خطوط جديدة.

- ألم يصلك الشيك؟

وبهتت ليزي لجفوة السؤال الذي بدد الصمت، ولزمها بضع لحظات لتدرك ما كان يقوله: «بلى. . وصلني».

- هذا ما اتفقنا عليه.

- لا. . .

نظر إليها متفرساً، ثم لوى فمه بابتسامة واهنة، وقال بمرارة: «لا تقولي لي إنك تريدين المزيد من المال؟».

هزت ليزي رأسها: «لا أريد أي مال. لقد اتفقنا على أن تدفع لي بعد أن تتزوج. وأنت لم تتزوج. أليس كذلك؟».

وساد الصمت، وضاقت عيناه الرماديتان، وقال معترفاً: «لا».

- وهل رفضتك آلين؟

ظنت أنه لن يجيب، لكنه قال بعد حين: «لم أطلب منها الزواج».

- ولِمَ لا؟

هذه المرة لم يرد، بل دسّ يديه في جيبيه، واستدار عنها، ليسأل بعد قليل: «ماذا تفعلين هنا ليزي؟».

- جئت أطلب منك شيئاً.

ردّ بصوت مهزوم: «ما هو؟».

- هل تتزوجني؟

ساد صمت طويل. ووقف تاي من دون حراك، ثم استدار بكل

حذر ليواجهها، وقال بصوت خفيض: «ماذا؟».

ضمت ليزي يديها معاً، وقالت: «طلبت منك أن تتزوجني».

ودهشت لثبات صوتها.

تقدم خطوة واحدة باتجاهها من دون قصد، وتمتم:

- ليزي. .

ثم توقف: «لماذا؟».

ابتلعت ريقها: «لأنك تنتمي إلى بارا كريك. . وأنا. . لا أستطيع تحمل فكرة اضطرارك إلى تركها مرة أخرى».

ومن دون تصديق سأل: «وهل ستفعلين هذا لأجلي؟هل ستتخلين عن كل ما تؤمنين به. . كل ما حلمت به، كل ما أردته يوماً؟».

تجنبت ليزي عينيه، وقالت بصوت يشبه الهمس: «ربما تخليت عن ما اعتقدت أنني أريده، وربما تغيرت أحلامي».

- ألم تعودي تؤمنين بالحب الحقيقي؟

- بلى أؤمن به، لكن ربما لم أعد أعتقد أنه قد يكون كاملاً.

وتقدمت إلى النافذة، ووقفت تنظر إلى الخارج. تتساءل عما ستقوله إلى أنّ خطر ببالها أن عليها أن تقول له الحقيقة.

قالت دونما تعثر: «أنا لا أعتقد أنك شخص كامل. ولست الرجل الذي كنت أحلم بأن أقع في حبه. أنت تثير الحنق، وعنيد، وليس من السهل ارضاؤك، ولا يعجبني نصف الأشياء التي تفعلها. ولست أدري حقاً لماذا أحببتك. . كل ما أعرفه أنني أحبك».

واستدارت تواجهه. . كان يراقبها بتعبير غير مفهوم، كاد يفقدها أعصابها، لكنها قالت الكثير، ومن الأفضل أن تقول البقية.

أخذت نفساً مهدئاً، وأكملت: «أعرف أنك لا تحبني تاي. . كنت أفكر أن زواجاً من جانب واحد أمر لا يطاق، واعتقدت أنني أريد شخصاً يحبني. . لكنني لم أعد أريد هذا. . أريدك أنت فقط. خلال الأسبوعين

الأخيرين في بيرث، أدركت أن العيش من دونك أصعب من قدرتي على احتماله. . وحاولت أن أقنع نفسي بأنني أستطيع تدبير أمري وحدي، لكنني لم أستطع».

ولم يتحرك تاي، بل سأل: «ولماذا لم تقولي لي هذا من قبل؟».

ـ ظننت أن الوقت فات، ظننتك ستتزوج آلين. . كنت قد أضعت الفرصة. . ولم تمض عليّ ساعة منذ غادرت من دون أن أندم على رفضي الزواج منك. . وحين سمعت أنك لم تتزوج، لم أرغب في تفويت فرصة ثانية، وهكذا. .

رفعت يديها بشيء من العجز، وتركتهما تقعان جانباً. . من دون أن تستطيع تفسير الإحساس الملح الذي تملكها.

ـ . . وهكذا عدت.

مع ذلك، لم يقل تاي شيئاً، بل وقف هناك ينظر إليها. . وغمر ليزي فجأة، هاجس أنها عالجت الأمور بشكل خاطىء، وأنها فوتت على نفسها الفرصة. كان من الأفضل أن تتظاهر بأنها هادئة باردة وأنها تريد المال، بدلاً من أن تكشف مشاعرها، وتهذر عن الحب والحاجة، وكل المشاعر التي يكرهها تاي.

أكملت، تحاول إصلاح غلطتها مع أنها في سرّها تعرف أن الأوان فات: «لن أتوقع منك شيئاً، ولا أطلب منك الادعاء، لكن إن تزوجتني، فأستطيع أن أعطيك ما تريده حقاً».

ردّ مفكراً: «أجل. . أظنك قادرة على هذا».

ومحا الارتياح البؤس عن وجه ليزي ولمعت عيناها.

ـ إذن. . هل ستتزوجني في الأسبوع القادم؟

ـ لا.

نظرت إليه بذهول: «لا؟».

لقد سمعته جيداً. . ولم ترغب في تصديق هزة رأسه الصارمة.

ـ لكن. . لكن. . ماذا عن بارا؟

ـ لقد اتخذت قراري.

وعلا الصقيع قلب ليزي، لماذا لم تفكر بهذا من قبل؟ بالطبع لن يتخلى تاي عن بارا هكذا. . وابتلعت ريقها بقسوة: «وهل طلبت الزواج من أخرى؟».

ـ لا.

صاحت: «إذن لماذا؟ ما زال هناك وقت، يمكن أن نتزوج في بضعة أيام. . وستكون بارا لك، وستحصل على كل شيء أردته!».

ـ لكن بارا ليست كل ما أريد.

مال إلى منضدته، من دون أن تترك عيناه وجه ليزي.

ـ لقد اتصلت ببول غيبسون في الأسبوع الماضي. . وقلت له إنني لن أفي بشروط والدي، وإن بارا ستكون له في الأسبوع المقبل. جرى بيننا حديث طويل، وعرفت أنه لا يهتم أبداً بامتلاك مزرعة مواشي، وراعه أن يضطر إلى تحمل مسؤولية بارا، وأراد ببساطة أن يعيدها لي. . لكني أقنعته بأن أشتري المزرعة منه بثمن جيد. . من حقه البيع بحسب وصية أبي. . وأنا أستطيع دفع الثمن. هذه المرة لن تكون هناك شروط تتعلق ببارا.

ـ إذن، أنت لست بحاجة لأن تتزوج؟

نظر تاي إليها: «لا».

واستدارت ليزي لئلا يرى الهزيمة على وجهها. . وأخذت نفساً عميقاً وتصنّعت المرح في صوتها: «حسن جداً. . يبدو أنني جعلت من نفسي بلهاء، أليس كذلك؟».

لم ترَ تاي يقف. . ولم ترَ الحنان على وجهه وهو يتقدم إليها. لكنها أحست بيديه على كتفيها، وبهتت، فهي لن تستطيع تحمل شفقته.

متجاهلاً مقاومتها، أنزل يديه وأمسك خصرها، وأدارها لتواجهه، ثم قال بصوت ناعم: «لم أعد مضطراً لأن أتزوج. وهذا لا يعني أنني لا أريد.. بل أريد».

وأحست ليزي بقوة لمساته، ونظرت إليه حائرة، والألم يملأ عينيها الزرقاوين: «لكنك قلت..».

ترك خصرها ليمسك بيديها في قبضة قوية: «قلت إنني لا أريد أن أتزوجك في الأسبوع القادم».

وزاد دفء عينيه كما لم ترهما ليزي من قبل: «لا أريد أن تكون بارا سبب زواجنا. أريدك أن تتزوجيني لأنني أحبك، وأحتاج إليك، بقدر ما تحبينني. وأكثر».

ـ أنت.. تحبني؟

كررت ليزي الكلمات وكأنها لا تفهمها، وابتسم تاي.. ابتسامة حطمت جليد اليأس الذي غلّف قلبها منذ أن ودّعته.

وأكد لها: «حباً ليس له حدودا!».

كان الدفء، يتسلل إلى قلب ليزي، والحيرة تحبس أنفاسها، لكنها لم تجرؤ على أن تصدق. وقالت: «ظننتك لا تؤمن بالحب؟».

وبدا القلق في صوتها واضحاً، وتحركت أصابعها لتطبق على أصابعه.

قال تاي: «وأنا أيضاً. لكنني لم أقع في الحب من قبل، ولم أفهم ما الذي يحدث لي. لقد اعتدت على استقلاليتي واعتقدت أنني لا أحتاج إلى أحد. ثم، فجأة، وجدتك أمامي، الجزء الذي لا يمكن الاستغناء عنه من حياتي. كنت دافئة، مرحة، نابضة بالحياة.».

ازداد عمق صوته وهو يرفع يديه ليضم وجهها بلطف بين راحتيه، وأضاف: «وجميلة جداً».

وأخذ يتلمس خديها، فأحست ليزي بالدوار. كانت الفتنة تلتف

حولها وكأنها خيوط من ذهب، تأسرها بسحر عينيه، ودفء مشاعره.. وأدركت أنّ يديها تتمسكان بقميصه، لتجدا الأمان في جسده الصلب القوي، وتتشبثا بهذا الواقع الجديد.

وأخذ تاي يتطلع بمحبة إلى عينيها الزرقاوين الزائغتين، وقال: «قلت لنفسي إن ما أشعر به نحوك ليس سوى جاذبية طبيعية.. ولم أتوقع أن يدوم. لكن، حين طلبت منك أن تتزوجيني، ورفضت، غضبت».

وتظاهر بالتذمر: «ولم ترفضيني بسبب رجل آخر، بل بسبب حلم! وبالطبع قلت لنفسي إنني لا أهتم، وإن بارا هي الشيء الجدير بالاهتمام. لكن حين قدمتني إلى كل تلك النساء اللواتي بإمكانهن مساعدتي للحصول على بارا.. لم أستطع التركيز».

وعانقها، ثم همس: «كيف يمكنني أن أنظر إليهن، وأنت إلى جانبي؟».

وضمها إليه مجدداً، ثم همس في أذنها: «وحين أشم رائحة عطرك؟ حين أفكر في كل مرة أراك فيها في لذة عناقك؟».

كانت السعادة تتدفق في شرايين ليزي كشلال ذهبي، وأطلقت تنهيدة رضى وهي تلف ذراعيها حول عنق تاي، وأدارت له وجهها بحيث تلاقت عيونهما بنظرة طويلة جائعة، تمتمات متلهّفة وكلمات حب. إلى أن ظنت ليزي أنها ستفقد الوعي من السعادة.

قالت: «لم أتصوّر هذا، ظننت أن عناقك لي جزء من خطتك لإيجاد عروس».

اعترف: «كان هذا في سيدني.. لكن الأمور اختلفت حين أصبحنا في بارا.. كان من السهل جداً البقاء معك، لم تكوني مثل أي شخص التقيته من قبل.. كنت تتكلمين وتضحكين، وجعلتني أرى أشياء لم أرها من قبل، أحسست بالسعادة».

وتحوّلت عيناه الرماديتان إلى الأعلى فجأة: «ولم أشعر بمثل هذه السعادة من قبل. وحاولت إقناع نفسي بأن السبب هو عودتي إلى بارا، لكن هذه ليست الحقيقة. هل تذكرين ذلك اليوم قرب البركة؟».

رفعت ليزي عينيها وهي تتظاهر بالتفكير، لكن تاي لم ينخدع، فشدها إليه مجدداً، وهمس في شعرها: «أعرف أنك تتذكرين».

واستسلمت ليزي، وهمست: «كل ثانية منها».

ـ لم أكن أقصد أن يحدث هذا فعلاً.. لكنني لم أستطع إبعاد يديَّ عنك، وحين عانقتك أحسست أن الأمور أصبحت في مكانها الطبيعي، ولم أصدق حين رفضت.

دنت ليزي منه أكثر: «تمنيت لو أنني لم أفعل».

قال تاي بخشونة: «كان درساً جيداً لي.. وبدأت أتساءل عما إذا عنى لك هذا شيئاً. بالطبع، منعتني كبريائي من أن أسأل، فأنا لم أشك في نفسي من قبل. لكنك بدوت مهتمة بالوظيفة فقط.. وحين ذهبنا إلى الروديو..».

وصمت، يهز رأسه للذكرى: «كان يوماً سيئاً. أستطيع الآن أن أرى كم اهتم الكل بك، واساؤوا الظن بي. ولأول مرة، أزعجني أن أكون منبوذاً.. ولماذا يحاول شخص مثلك جهده معي؟ وعرفت أن المال لن يكسبني إياك».

رفع ذقن ليزي، وجعلها تنظر إليه: «أنت السبب الوحيد الذي جعلني أركب ذلك الجواد اللعين. أردت أن أثبت لك أنني أستطيع أن أنتمي إلى محيط ما. لكنك لم تكلّفي نفسك عناء مراقبة ما يجري!».

جلست محتجة: «لكنني راقبتك! وكرهت كل لحظة! وخفت أن يصيبك أي أذى».

قال: «لكنك لم تكوني هناك حين ترجّلت، بل مع غراي هندرسون. وما إن رأيتك معه حتى عرفت أنه كل ما لم أستطع أن

أكونه أنا. إنه ينتمي إلى ما حوله. بدا آمناً، لطيفاً، ورقيقاً، وهذا ما تستحقه فتاة مثلك».

قالت موافقة: «غراي هكذا بالفعل.. لكنه ليس أنت، هل شعرت بالغيرة حقاً؟».

ضحك تاي للسعادة الظاهرة في صوتها، واشتدت ذراعاه حولها، وقال معترفاً: «خرجت عن طوري.. خاصة حين رأيتك معه مجدداً في السباق، فصممت أن أجد امرأة هناك، لأثبت لك، ولنفسي، أنني لا أحتاج إليك.. لكنني بالكاد تكلمت إلى آلين ثم اعتذرت وأسرعت لأفتش عنك».

ـ لكن، لماذا كنت غاضباً؟

ـ وماذا توقعت؟ كنت أركض في المكان بحثاً عنك، لأجدك مع غراي هندرسون مرة أخرى، أحسست وكأنني تلقيت لطمة على معدتي.. وأنت..

لامس خدها: «.. بدوت تعيسة، وخفت أن يكون شعورك نحو غراي أكثر مما تريدين الاعتراف به.. ورغبت فقط في أن آخذك إلى البيت وأحتفظ بك لنفسي، لكنني التزمت بتلك الحفلة اللعينة.. وكان أمامي مشكلة وصية أبي.. ولم أعد أفكر بصفاء، وصببت غضبي كله عليك. أعرف أنه لم يكن من السهل العيش معي ذلك الأسبوع».

ـ هل كنت حقاً ستطلب من آلين الزواج؟

وتذكرت ذلك الجدال المرير في الشرفة المظلمة.

ـ قلت هذا فقط، حين بدوت مصممة على العودة إلى بيرث، والبدء بعمل خاص بك.. ثم لم يكن هناك ما يحول دون أن أطلب يدها. ولم أشأ أن تظني أنني أهتم بك بطريقة أو أخرى.. ففي ذلك الوقت، كنت قد أقنعت نفسي أن بارا هي كل ما عندي.

ـ لكنك لم تسألها؟

ـ لا. . ذهبت لأراها. . لكن حين وصل الأمر إلى سؤالها، لم أستطع. والله وحده يعرف ماذا خطر في بال آلين، لكنني عرفت أنني لا أستطيع تحمل الزواج من سواك. كنت أعتقد أن بارا تكفي، لكنها لم تكن كذلك، لم أعد أريدها حين لم أستطع الحصول عليك.

أمسك تاي يد ليزي وأدارها ليطبع قبلة في راحتها: «لم أدرك كم أحبك إلا بعد أن رحلت ليزي. اشتقت إليك، كانت بارا فارغة من دونك. . بقيت أفتش عنك، وأنتظر لأراك تدخلين من الباب الزجاجي، وتضعين قبعتك. . كان كل شيء يذكرني بك. كنت أجلس في الشرفة وأتخيلك متكورة على مقعد الخيزران. . وأذهب إلى الجدول فأتصورك تمشين بين الأشجار. كانت الاسيجة تذكرني بالطريقة التي عانيت فيها من السلك الشائك من دون تذمر. وحين أنظر إلى السماء، كان كل ما أستطيع رؤيته هو عيناك».

صمت قليلاً، ثم أكمل: «كان هذا قبل أسبوع من استسلامي، وأدركت أن بارا لن تعني لي أي شيء إلا إذا شاركتني فيها. عندئذ اتصلت ببول غيبسون».

ـ لماذا لم تأت وتقول لي كل هذا؟

ـ لأنني عرفت أنك لن تصدقيني لو قلت لك أحبك، قبل أن أبلغ الأربعين. . ولو قلت نعم، بمعجزة ما، فقد تتساءلين دائماً عما إذا تزوجتك بسبب بارا.

أمسك تاي وجهها بين يديه: «لكن هذا ليس سبب زواجي بك ليزي، ويجب أن تصدقي هذا. . أحبك».

قالت وهي تمطره بحنانها: «وأنا أحبك».

مر وقت طويل قبل أن تستطيع الكلام مجدداً، وأراحت وجهها بامتنان على كتفه وقالت معلقة: «لكن شراء بارا ليس له ما يبرره، بما أننا سنتزوج».

وتنهدت سعادة: «لماذا لا نتزوج الأسبوع القادم، قبل عيد ميلادك؟».

قال: «لن يكون الوقت كافياً لترتيب كل الأمور».

وجلست مستوية تنظر إليه بدهشة: «كل ما سنحتاج إليه هو الترخيص. . وهذا لا يتطلب وقتاً طويلاً».

ـ وماذا عن الفستان، والزهور؟ وكنيسة ماتيسون، والتأكد من قدرة الجميع على الحضور. . كل هذا يتطلب وقتاً.

ـ لكنك تكره حفلات الزفاف!

ضمها تاي إليه مجدداً: «لن أكره هذه الحفلة. . وأريدها أن تكون متميزة».

ـ إذا لم تكن حذراً، فستنقلب رومانسياً.

ولفت ذراعيها حول عنقه، فقال: «ألا تريدين زفافاً لائقاً؟».

قبلته: «طبعاً أريد. . لكن هناك مشكلة واحدة».

ـ وما هي؟

ـ أنت لم تطلب مني الزواج بعد.

أطبق ذراعيه حولها: «طلبت هذا مرتين من قبل، وفي المرتين رفضت».

وعدته ليزي: «حسن جداً. . هذه المرة سأقبل».

ـ في هذه الحالة حبيبتي. . وللمرة الثالثة أنا. .

* * *